

الدولة العثمانية

في

لباسه وسويته



حكم اربعة قرون

١٥١٧ - ١٩١٦

بقلم

بوليسر مشيخك

سنة ١٩١٦

الدولة العثمانية

في

لسانه وسويته



حكم اربعة قرون

١٥١٧ - ١٩١٦

بقلم

بولس منسجك

سنة ١٩١٦

كلمة للمؤلف

في هذه النبذة صورة جليسة لماضي البلاد السورية . والماضي مرآة
الحاضر . فللبصير اللبيب من مواطني الاعزاء الذين يهتمون الخير
لوطناهم ان يسترشد بالعبر التي تتجلى له في هذه المرآة الى النهج القويم
الذي ينبغي له ان يتبناه لابلغ امته الى حيث تأمن تجدد النكبات
التي توالت عليها في الدور الاخير من تاريخها

وانا في روح الوفاق الذي سرى اليوم في جسم الامة السورية ما يمهّد
للمصادقة الوطنية من السوريين واللبنانيين سبيل الخروج بها من المأزق
الخرج الذي حشرها فيه اعدؤها ولا سيما اذا ما عرفوا ان يستخرجوا
من ثنايا قضية الحلفاء الشريفة المشتركة موعظة لهم ترشدكم الى اصدقاء
امتهم الحقيقيين

الدولة العثمانية

في لبنان وسورية

حكم اربعة قرون (١٥١٧ - ١٩١٦)

تمهيد

تتناول صفحة هذا العام وبها تنطوي آخر صفحة من تاريخ المئة الرابعة للحكم العثماني في الديار السورية (١٥١٧ - ١٩١٦) . فقد دخلت سورية في حيازة بني عثمان في منتصف الربع الاول من القرن السادس عشر بعد انقراض دولة المماليك^(١) على يد السلاطين سليم الاول الفاتح العثماني الشير وبسبب قرنين ونصف خروج الصليبيين منها^(٢)

وتاريخ سورية في عهد بني عثمان انما هو حلقة من سلسلة البلايا والارزاء التي توالى عليها في عصر المماليك فذهبت بالفرس والفرج واوردت السباد موارد الضئيل والشقاء . يتصفح المرء تاريخها في ذلك العصر فيخيل اليه انه يتصفح تاريخ المصور الاولى للبشرية . فيقف مبهوراً ازاء ما يقع عليه نظره في ذلك السفر الضخم من اخبار تلك الحقبة الطويلة التي اجتازتها الديار الشامية وهي تنثر باذيال الحقبة

(١) يعرف هؤلاء المماليك بالبرجية أو المجركية . أسس درلتم الملك الظاهر برقوق المعروف ببايكا الكبير سنة ١٣٨١ م وحكمت سورية اليه سنة ١٥١٧ حيث دانت هذه البلاد لصولجان بني عثمان . وقد نال حكمهم طاعتين وحروب شديدة منها قتل عمزقاً وقضت على البقية الباقية من بعدها . ودخلت هذه الفتن في القرن الرابع عشر وما يليه في دور مخيف محزن حتى فترت همم اهلها وقتل عرائضهم للأخبية ما قوالى عليها من الكوارث والشكبات وقاتوا لا يشعرون بضغط الحكام وتحكمهم برقايم لان المصائب الفادحة التي نزلت بهم افقدتهم حاسة التأثير . وزادت حالة سوريا سوءاً على اثر غزوة تيمورلوك الطاغية لشغولي الشهيرة سنة ١٤٠٠ وقبضه دمشق ودكها من اساسها وسببه علماءها وصناعها الى آخر ما هو معلوم من اخبار تلك الغزوة

(٢) دخل الصليبيون الى سورية سنة ١٠٩٩ م وتملكوها زهاء قرنين سرفوها في محاربة الدول التركية والفرسية وملك الروم ومن والى هذه الدول من امراء البلاد واعوانهم وكان عندهم في الديار الشامية عهد رخاء ورفق بالقياس على ما عانته هذه البلاد في عهد السلاطين واعاقبهم من تشديد والاهمال

والهوان ترقى لدمعها فتن داخلية لا تخبر نازها وتفتح لوسطها حروب، خارجية
مأساة لا يحمدها نفعي الجيوش واحداً بعد آخر وتندرس الاقطار والامصار
قطاراً بعد قطار ومصرأ بعد مصر ووزراء الدولة ونوابها في هذه البلاد النعمة
منصرفون الى السلب والنهب وسفك الدماء شيئاً نظامهم الاشعية وزعماء الاحزاب
والانكشارية في قاعدة السلطة يكيدون المكيدة ويقعدون للوآمرات لخلق السلاطين
والاستبداد من دولهم بنشؤون الدولة على مائتة ابراهيم وقضي به ما ربههم وانفراهم
تظهر الانراك عند استيلائهم على الديار الشامية والمصرية والسورية يظهر الخلفاء
الاولين فاجروا العدل بين الناس واقاموا دعائم سلطانهم على اساس الحلم والانصاف
فقالوا البلاد من عورتها واقبلوها من وحدة الخراب والاضطراب التي كانت دول
الاكرواد والممالك والمنقول قدوت بها اليها . لكنهم بعد انقضاء زمن الفتح واستتباب
الامر لهم في هاتيك الديار قدوا صفات الخلفاء الاولين لان هذه الصفات لم تكن من
خلالهم الفطرية ولم يالفوها في تصور السلاطين الذين تقدموهم وشاروا عند دولتهم
على اسنة الرماح وشفار السيوف ذاهلين عما ينبغي لارباب التيجان ان يتحلوا به من
انفضائل الراحة ليتكفوا من توطيد اركان الدولة على اساس صحيح ثابت لا تقوى
عليه صروف الدهر وكوارث الايام . فلم تمكن لذلك هذه الصفات من توسعهم الا
على قدر ما كانوا في حاجة اليه لهدنة الخواطر وخذ الرماد في الميوز حملاً للراحة على
الاستسلام لمشيئتهم والخضوع لسلطانهم . وعلى هذا لم تكن بلاد الشام تقطن الى حكم
آل عثمان وتنفوق طعم الراحة فترة قصيرة وتحمده الله على انقضاء زمن الشدائد
والاهوال التي عانت مرارتها ودكت الى الخضيض معالم مجدها حتى عادت الى اسوأ
عما كانت عليه . فجار السلاطين وجار نوابهم وعلمهم فيها فرجعت انقهرى وغرقت في
لجة عميقة من الضنك والشقاء وفي الشعب السوري في الفتن والحروب الاهلية
وحال اعتساف الحكام وشاياتهم بعضهم بعض ونحاسد الزعماء وتبايذهم دون سد ثلثها
وامصلاح ما فسد من امورها . وجرى ذكر الحكام الذين تهوروا على غيرهم بالجور
والاعتساف مجرى الامثال الى يومنا هذا نظير قراقوش والي حلب واحمد الجزار
والي صيداء ويوسف باشا سيفا والي طرابلس وبنو حمادة حكم الميطرة وبلاد
حبل وغيرهم ممن سنأتي على ذكرهم في ما بقي من فصول هذه البنية
وقد ظلت سورية الى ايامنا هذه خاضعة للدولة العثمانية . الا انه تخلل عصر

المثانيين فيها فن وحروب اخرجتها من حكمهم الى حين ثم استرجعوا سيادتهم عليها
كما سنبين ذلك فيما بعد

على ان في الشعب السوري رغبة شديدة الى الاستقلال كاملة فيه من اقدم ازمته
التاريخ ورثها من الآريين والفينيقيين اجداده الاولين مع ما ورثه من مبرراتهم وفضائلهم
واستغنى بها اجدادهم بدمه بحيث باتت خلفاً فيه فاحلت وشائجها في نفسه وثبت
جبر ثومتها في صدره على رغم ما توالى عليه من التكبث الملاحقة لكيان الشعوب والاممية
لمادة الحياة فيها فلم يستطع لذلك الوزراء والنواب الذين تداولوا ولاية سورية في عهد
بنى عثمان ان يستأصلوا من نفس الشعب السوري هذا السامل الجبوي العظيم الذي هو
في اعتبار علماء الاجتماع اساس الحياة القومية . فظلت سلطة الامراء والحكام المحليين
ولا سيما في لبنان على ما كانت عليه قبلاً فكانوا مستقلين في شؤونهم الداخلية على تمام
سريتهم لا يرجعون الى الدولة الا في الامور السكينة السكينة ولا سيما في عهد الامراء
التوحيين والمعينين والشهابيين والنعيمين وبني عساف وسبنا وغيرهم فكانت اولئك
الامراء والمقدمون والشايع من ورأهم يقضون بين الناس بحسب مشيقتهم ومنازعتهم
والناس بين هولاء واولئك فرقتهم ارباب عشقة المشايخ متباعدة الامراض والمآرب
على ان ما كان سائداً بين هولاء الحكام من التقاطع والتمحاسد وما كان
يجري بسبب ذلك من الفتن الداخلية كان من اكبر انواعها على تدخل الدولة
في شؤونهم ~~وكانت الدولة~~ في هاتيك الزبوع . ومن البلية ان الحكام كانوا
يعلمون حق العلم ان المال في الدولة عند الحق ودعائمه الكبرى فكانوا يقدمونه في
الاعتبار على حقوقهم الموروثة في الولاية فينافسون في احراز السبب الاوفر منه
واستماله رجال الدولة بما يتحجرون به منه طاماً في الظفر بمساعدتهم لهم على بلوغ
مناصب الحكم . وكانت هولاء العظماء الفاحون يفتنون في اساليب السلب والسلب
اشباعاً لمطامعهم واملاء لجيوبهم من مال الرعية على يد اولئك الحكام . وقلنا
كان يستتب الامر لواحد منهم بغير المال . وكانت ولاياتهم واقطاعاتهم ودوائر حكمهم
وقودهم تتسع او تضيق بنسبة الخبايا المالية التي كانوا يفتحون بها زمره الوزراء
والنواب . وكانت مبرراتهم وبدلهم في هذا السيل بلعاً لهم على ظلم الرعية وارهافها
بالضرائب الفاحصة والرعية تقع تحت هذا النير الثقيل . وكثيراً ما كانت تنقض على
حكامها فيقاسون للشدائد في ردها الى الطاعة . وانما لم يكن لها قبل بذهابهم هجرت

اولاها الى حيث تأمن جورهم وفتي همتهم وهو ما يطل به انتقال جماعات كبيرة من جهة الى جهة اخرى من لبنان وسورية واستيطانهم لها الى اليوم . ومن نكد الطالع ان هذه العادة تأصلت في الديار الشامية الى عهدنا هذا مع ان أهلها يسمون يقيناً انها في مقدمة البوائت الرئيسية على تفقر بلادهم وبلوغها من الفوضى السياسية والانحطاط الادبي درجة ليس بعدها زيادة لمستزيد

ولو انفق امراء سورية ومقدموها ومشايخها وعرفوا ان يستفيدوا من الاستقلال الداخلي الذي كانوا يستمتعون به في ذلك الحين لكان شأنهم مع الدولة السائدة فيهم غيره في ذلك العهد ولا سيما انهم ورثوا السيادة في بلادهم وعشائرهم اياً عن جد . ومن احرزها منهم بنفسه قلنا احرزها بسيفه وقوة ساعده وفطنته وذكاءه وقواده . فلم يكن ينقسمهم للاحتفاظ بها وتركها ارباباً خيلاً لا يخافهم الاشيء من التفاهم والاتفاق وهو لسوء الحظ ما لم يدركوه الى اليوم

على ان التاريخ والتقاليد حفظا لنا من الآثار الطيبة التي خلفتها فئة كبيرة من اولئك الحكام ما يجعل بالابناء الذين ورثوا السيادة عنهم ان يسجدوا على منوالهم فيه . ولهذا الفئة من الفضل في بنها روح الوطنية الصادقة في صدور الابناء وبذرهما في نفوسهم بذور الفضائل الرائعة والصفات الممتازة ما لا يسع المتصف جهده واغماطه . غير ان حيلات ذلك الحكم البائد الذي كان قائماً على شعار السيوف حملت من قدر تلك الفئة وطمنت معالم قضاها واضاعت في ذلك التيار الجارف قضايلها . فاحتفظ الخبايا بالنابل . ولم يعد بالامكان تمييزها عن غيرها من الفئات الفاسدة الضالّة التي انسدت على الناس امورهم واغطت فضل نوابهم وفضلاتهم وهي تؤلف الاكثية المطلقة . ولهذا كان حكم المؤرخين النافذين على ذلك العصر الذي نشأت فيه تلك الفئة عاماً شاملاً اخذ فيه البريء بحريّة المذهب

ومن الذين حكموا الديار الشامية في عصر العثمانيين الامراء التتوخيون والمغنيون وآل عم الدين المغنيون والشهابيون والدميون وآل ارسلان وعساف وسيف والمقدمون كني المشروقي او الحصري والفاطحة وبنو الشاعر والمشايج بنو جيلاط وبنو حمادة والحازن وحيش والغازار وتلحوي ودحداح ونكد والطاهر والخوري والاعيان كآل العظم والمطر جي والعمر وبربر والاسعد وغيرهم . ولكثير من هؤلاء الامراء والمقدمين والمشايج والاعيان حروب شهيرة مع وزراء الدولة ونوابها وعمالها . وكثيراً

ما كانوا يصبونها فتيلها الشدائد في خندق شوكتهم وأخضعهم كالأمير نضر الدين المعني وجبلاط باشا وأبي حلب والأمير بشير الشهابي الكبير وبوسف بك كرم وغيرهم من سناني على ذكرهم في ما يلي . ولا يزال خلفاؤهم إلى اليوم يفلحون النفوذ التركي في الديار الشامية ويحصدون ثماره الجرف . إلا أن مقاومتهم للدولة خرجت عن طورها القديم وأفرشت في قالب أدبي سيني وهو ما كان أشد خطراً على نفوذها وسيادتها من المقاومة الحربية . ولما في الثورة الفكرية الحاضرة التي نشأت عن المظالم والموبقات التي يرتكبها رجالها اليوم في الديار الشامية وألفت بين مختلف العناصر السورية في الداخل والخارج ما يحصل على الرجز بان هذه البلاد داخلة قريباً في دور جديد ينسبها مداوى هذا العصر الذي حمت نيره الثقل على عاتقها سحابة أربعة قرون كاملة

سيرة في القرن السادس عشر

الفتح العثماني لما جلس السلطان سليم الفاتح استماني الشير على سرير السلطة^(١) كانت اليونان اللدنية والمغربية في الحيش العثماني من الوحد والاضطهاد لما قاله من الحصار القادحة في الحروب التي خاضت دارها ، انفق التي قسما بحيث لم يكن يتطاع التمويل عليه كثيراً التدويع الامصار وفتح المسالك التي كان هذا الفاتح العظيم بطبع باخضاعها اصولجانه . وكان الغازي شجاعاً بأسلاً صادق العزيمة قوي الشكيمة شغفاً كاسلافه بالفتح فاضرف الى تنظيم الجيش وتعزيزه واذكاه دارا طمية في صدور قاذته . ثم زحف به لقاتلة القرس وملسكم يومئذ شاء السبيل الشيعي وكانت واقفا عظيماً شديد اليأس قوي المراس . ففتحه الفاتح العثماني سنة ١٥١٥ ودوخ بلاده وأعظمه حتى آمن شره . ولم يكده بشرغ من قتاله القرس ويستتب له الامر في ولاياته البلقانية والاوربية حتى ضمت نفسه الى فتح الديار الشامية

(١) هو ثالث أبناء السلطان بايزيد الثاني . ولاء أبوه على طرزيون فتح يفتح بها وحدها وزحف بجيش من عترة توالين له على الرومي فقاتلته وسى نفسه سلطاناً على ادرنه . وما انك عاكفاً على اخصاف سلطة ابيه من توري عليه واستمال الانكشارية اليه . فتدبرا اذره في ما وقع بينهما من النزاع وأضفى به الامر الى انزعج المولجان من يده وادخله على الخروج من عاصمة ملكه شريداً طريداً (سنة ١٥١٢) الى حيث قضى نحبه . ولما زحف اخوانه القرم ففتح فتحتها وأمن شرعاً وحكماً بمن وقع تحت يده من آتية . وأمنهم ويستفيد بالدولة من دونهم

والمصرية . وكان ما آلى إليه هذان النظران التفتيحان في عهد المماليك من التفتيح
والانحطاط باعثاً له على استعمار شأتهما والتسجيل في اجتماعهما ولا سيما أنه شعر
بعدم انتظام أمور هؤلاء المماليك فيهما وعجزهم عن الاحتفاظ بسيادتهم عليهما .
فخرج على سورية بجيش عظيم (١٥١٦ — ١٥١٧) فالتقى الملك الأشرف
قائضه الغوري من مماليك مصر — وهو يومئذ سلطان مصر والشام — في مرج
دابق شمالي حلب ومعه الغزالي نائبه في دمشق والامير تقي الدين المعني الاول امير
لبنان . فتسمرت نار الحرب واستهل الغزالي ابن من والغزالي اليه . فأنحازا إلى
جانبه ورجعت كفته . فدمر جيش المماليك وأعمل السيف في رقابهم ولقي الغوري
حقه في هذه الواقعة وبخلفه ابن أخيه الملك الأشرف طومان باي (١) . ثم احتشدت
جيوش الجراكسة عند غزوة . فتأخرها الخافر وكسرها شر كسرة . ففر
طومان باي إلى البلاد المصرية ووقف هناك بفلول جيشه يستعد لمقاومة عدوه .
فاستأق الغزالي العثماني زحفه وأدركه . وكان في طليعة الجيش المصري خير بك أحد
امراء المماليك ونائب الغوري في حلب . فاستأله السلطان سليم اليه ووعد به بان يوليه
على مصر ان هو خان مولاة . فأنحاز برجاله إلى الغزالي وقا تل في صفوف جيشه . فظفر
بجيش الجراكسة ونكل به واستأمر الملك طومان وشقيقه (١٥١٧) وبه أقرضت
دولة المماليك البرجية أو الجركسية وتم لسلطان سليم ما مني النفس به من التفتيح
على مصر والشام

حتى ان السلطان لم يتزعج الحكم من أيدي الامراء والحكام الذين كانوا يتولون
البلاد المصرية والشامية لئلا يتفخؤا عليه فيجرعونه الفصص قبل ان يجمع ثورتهم
ويرددهم إلى طاعته . فأقر أكثرهم في ولاياتهم وأقطاعاتهم بعد أن فرض عليهم جزية
قليلة . فترك للمماليك في مصر سيكهم الأربعة والعشرين وهي الأقطاعات التي كانوا
يحكمونها بأمر ملوكهم . إلا أنه وضع نظاماً متكاملاً لنظام الولايات العثمانية وأطلق
عليها اسم سناجق . ولم يقض في وأدي قليل إلا على سلطة المماليك العليا . وجعل
خير بك نائباً له في مصر مكافأة له على أنحازه اليه في حربه مع طومان بك .

(١) هو الساج والاربعون من ملوك الترك العثماني والكشرون والآخر من ملوك
في الجراكسة مصر والشام

كانوا يهابون خسفاً وظلماً (١). وبعد أن عرغ السلطان من تدبير شؤون سورية البحرينية سار إلى حلب فقام مؤتمراً ومات إلى التمسك بالسلطة. ربما لبث أن قضى هذه عمار السفر حتى ماتت نفسه إلى فتوحات جديدة وصحبت عريته آثار فتح جزيرة رودس وأجتاح بلاد قبرص ثانية فاجلته ميتة سنة ١٥٧٠ قبل أن يترك ابنه

هو ولاية الأمراء المؤمنين وبني عساف وسيفا. بعد انقضاء زمن الفتح وسودة السلطان سليم إلى عاصمة ملكه رجع الأمراء والحكام في لبنان وسورية إلى ما كانوا عليه من الأقسام وتنازع السلطة وعادت الفتن فيها إلى عهدتها السابق. فسادت حالهما وقضى على ما كان علقه الناس على العهد الجديد الذي دخل فيه من الآمال البعيدة والآمال العلية

وأول من ذكره المؤرخون من الأمراء الذين عاصروا السلطان سليم وخلفاءه الأولين الأمراء بنو عساف وبني سيفا. ولذلك رأينا أن نقدم أخبارهم على أخبار غيرهم من الأمراء الذين تناولوا الحكم في لبنان وسورية :

كان الأمير عساف منصور التركاني يصطاف في عين شقيب إحدى مزارع صرود كسروان وبصرف الشتاء في عين شرود. وجماعته يتألفون الأوزاق (زوق مكائيل وزوق مصبح وزوق أشراب) على ساحل البحر. وولايته تتألف البقعة الواقعة بين نهر الموت قرب بيروت والنهر البارد على مدى قريب من طرابلس (٢). فلما أقره السلطان سليم على ولايته أخذ بلدة غزير قاعدة لها وأبني له فيها داراً عظيمة وبجانبها

(١) كان في جملة الذين يأتوا إلى لبنان في ذلك العهد قوم من متاولة بطلب. جاءوا إلى كسروان واستولوا داراً ومراجل وبمائة عشيرة. ثم تمسكوا بحدودهم حتى ملأوا صرود كسروان ولاسيما حية المنيطرة وملكوما. وانتقل جماعة من المسلمين السفين إلى فتقا وساحل عمارتق وعرامون وجديدة غزير وفيطرون حيث يوجد إلى اليوم جماعة منهم. ونزح دروز الصرود إلى برمانا وبعض مزارع كسروان الجنوبية. وانتقل فريق من نصارى الجبل وطرابلس إلى عرامون. ونزح غيرهم من قرية بانوج إلى فتوح كسروان فاستوطن قسم منهم قرية الكفور وحل القسم الآخر في غزير ومنه الشيخ حبش بن موسى مخائيل الذي كان قد ربه شأن يذكر في عهد أمراء لبنان ولا سيما في عهد بني عساف وبني سيفا وبني معين

(٢) ينسب أمراء بنو عساف إلى قبائل كردية أقامها سلاطين الشام في ساحل لبنان بعد غزوات الأتراك عن القبار الشمالية وقد حكموا ٢٨٤ سنة (١٣٠٦ — ١٥٩٠) وخلفهم في ولاية غزير الأمراء بنو سيفا الأكراد سنة ١٥٩٣ كما سيأتي.

سنة ١٥٦٦ وخلفه ابنه سليم الثاني . وبعد السلطان سليمان من أعظم سلاطين آل عثمان وأظهر ما اشتهر به عهد السلطان سليمان في الديار الشامية أنه في سنة ١٥٢٨ وقت بن علي شبيب أصحاب عرقا وبنو سيفاً أمراء عكار^(١) فقرة انتقلت إلى اقتناهم فاستشهد بنو سيفاً على أعدائهم الأمير قرقاس يعني أمير الشوف^(٢) وأبجدع الأمير منصور عداق برجاله فكلوا بني شبيب وعادوا إلى عكار . وكان والي طرابلس يومئذ محمد آغا شبيب فصار انتصار الأمير منصور لبني سيفاً على قومه وعشيرته ومن بالانتقام منه . فالتفت إليه ابن عداق الأمير بيد الذم ابن عمه والشبيطين يوسف وسليمان حينئذ الذين كان استعادهما من منفاهما في مصر وأغدق عليهما نعمة وعطاياهما . فقتلوا ابن شبيب شر قتلة وأمن الأمير الصافي عدوه . على أن ذلك لم يكن كافياً لالقاء العرب في ذلوب أعوانه وفعلهم على الإخلاء إلى السكينة فصار منهم حاكماً حليل والبترون فقتل بهما وعين مكلهما حاكين من قومه وبذلك استتم نعمته من بني شبيب وأعوانهم وقتى على سطونهم قضاء مبرماً

مع فرسها وفتند إلى الحظين الذين ذكرناهما في الفقرة السابقة مع قربها أحكاماً على عهد هجري الثاني بن فرسها الأول وحكمت حروصها معاً تحت راية واحدة

(١) ينسب آل سيفاً إلى عداق إلى قبائل كردية استكنها سلاطين الشام في ساحل لبنان من صيدا إلى طرابلس لقرى عن البلاد عزوات الصيادين . وكان بنو سيفاً يحكمون في بلادهم بلاد عكار . ولما انتقلت سلالة بني عداق إلى عداق انفضى أمركم في كردوا في اليوم (١٥٩٢) . وأشهر رجل هذه الأسرة يوسف بن سيف وهو أول من تولى طرابلس من ألباشوات

(٢) الأمراء الصيوني بطن من بني ربيعة ويرفون بالرب الأيوبية نسبة إلى زعيمهم بدعي أيوب كان ذليلاً مغلولاً . فأخبره سادة ربيعة حسداً من بينهم وأنشروهم إلى الرعي عن بلاد نجد ودير ربيعة سيناً كانوا يتولون بهتائهم فعل في الجزيرة الفراتية وشكار أهل هناك . واهتم أمير من سلاط آل أحيات حلب ومات بعد أن خلف ولداً اسمه معاً وهو أصل الأمراء الذين واليه ينتسبون . ولما امتدح الأفرنج سورية الشمالية أخذ الأمير من يقزوه من العرب الأيوبية حتى عظم أمره . ثم طرد الأفرنج به قزوين بمشائره وقومه إلى سهل القناع وأصلت شهرته . يفتشك من صاحب دمشق فخلع عليه وحادثه وأمره حيل الشرق طانية للبلاد من غارات الأفرنج وكان الجبل مقراً خالياً من السكان فقام الأمير من (١١٨٨ م) واستمره بمساعدة آل قزوين أمراء العرب وعندهم يومئذ الأمير بختار جد الأمير زهر الذين قاتلوه الأمير من حليفاً له . وحسداً على الأفرنج فاشترك في تن الغارة عليهم حتى احتلهم وسدا عليهم سبل الهناء . وأرسل الأمير زهر النجدي إلى الأمير من عمالاً أقاموا له ولخاصته الأبنية الحجرية فسكنوها واعتزلوا للفتارب والحيام وذاب أمره في البلاد فحاطر الناس إلى جبل الشوف من كل فج وعص بالسكان وحكمه زهاء ثلاثين سنة وأقام الأمير من أولاً في بعلبك ثم انتقل خلفاً له إلى دير النمر وجعلها قاعدة لولايتهم . وخلفه ابنه الأمير بونس وخلف هذا ابنه الأمير بختار النجدي الأول أمير قرقاس يعني الذي سبق الإشارة إليه .

وفي سنة ١٥٣٣ شبت بين النخبة والقيسية في بلاد حيل وجبة السيطرة قنة كبيرة انجذبت عن فوز الاولين وقتل في هذه القنة مالك بن غيث النخبي شيخ العاقورة . وكان للحزبين فيها انصار واعوان يتنازعون السلطة والثغور . فغدر أهلها وخرجوا منها لا يلون على شيء ففر النخبة الى دمشق يستغيثون بنائها . وفر القيسية الى طرابلس . وخلصت العاقورة من السكان سبع سنين الى ان استعزها الشيخان ايوب ونضول ابنا الشماس توما العاقوري بامر نائب دمشق واعاد أهلها اليها وتوليا أمرها (١) . ولجأ هاشم العجمي القيسي حاكم حيل بفريق من جماعته القيسية الى بلبك واصحابها ان ذاك الامراء بنو الحرفوش قاموه على حيلته . وبعث نائب دمشق فهدى الى الامير منصور عساف بمقابلة قاضي مالك النخبي . فاقض هذا عبد المنعم ابن عم هاشم العجمي وانما مالك للقبض على هاشم وجماعته . وكان بنو الحرفوش ناقلين على الامير منصور يتحينون الفرص لاهلاكه والقضاء على سلطوته . فساعدهم عبد المنعم على الايقاع به ان هم قتلوا هاشم . فقتل الحرافشة يهاشم ورموا بجثته الى بئر هناك تعرف الى اليوم ببئر هاشم . اما عبد المنعم قادرك الامير منصور ما ربه قبل ان يتنقذه فيه . فاجبط مساعدا بان امر الشيعيين المبرشرين فقتلوا به واوقفوا بجماعته واراحا الامير من شره . ومطالب خاطر الامير فهدى اليها بتدبير شؤون حكومته وجعلها كاخيه له مكافاة لها على صدقتها في خدمته . علي ان مكائد حساد الامير العسافي لم تكن لتفقد عند هذا الحد . ففي سنة ١٥٤١ قامر المقدم مخاضيل حاكم زوق مكائيل وبنو حنش حكام قننا على الايقاع به فاجبط مساعدا وقتل بهم

جلس السلطان سليم الثاني على عرش بني عثمان (١٥٦٤ — ١٥٧٤) وفي

وتعاقب الامراء المنبوق من بعده على حكم بلاد النوف وعظمت شوكتهم حتى تناولت ولايتهم جبل لبنان وما جاوره من البلاد شمالا وجنوبا من حدود حلب الى صيدا . وكان لهم منزلة رفيعة عند سلاطين آل عثمان فبخطابهم حكمهم كالمحاطيون الوزراء ورجال الدولة العظام . وقد عظم امرهم في حروبهم مع الافرج وولاء سورية ولبنان وهم فيما نلم اعظم أمراء الديار الشامية في عهد بني عثمان . وانقرضت دولتهم سنة ١٦٩٧ بموت الامير احمد المعني لانه لم يرزق ذكورا بعد ان حكمت في لبنان ٥٧٩ سنة (١٦١٨ — ١٦٩٧)

(١) يعرف المنتسبون الى هذين الشيعتين من اهل العاقورة ببني الهاشم نسبة الى هاشم ابن الشيخ ايوب بن الشماس توما البكر لان هاشم هذا كان أعز منزلة راسخ شائعا من اخويه شاهر وزعد

نفسه من سوء التأثير مما طأه والده من الشدائد في الحروب التي خاض غمارها ما جعله على الجناح إلى السلم . ثم قامت قضية إلى الفتح وكانت قبرص أول هدف مخطا به فاستفتحها سنة ١٥٧٠ غزوة بعد أن هلك في سبيل الدفاع عنها ٧٠ ألفاً من حماها الأبطال في جملتهم ٣٠ ألف (وقيل ١٨ ألفاً) لبناني . وشعر بجزءه عن قهر النمسا عن سلم من جيشه في فتحه هذا فصالحها على شروط جاءت في مصالحته . وحالف فرنسا أسوة بابه . وأبرزى لمنازلة البنادقة قهره وسحقوا أسطوله بمعاونة أسطول أسبانيا ومالطة . ثم أعاد الكرة عليهم فاجتنبوا القتال وصالحوه سنة ١٥٧٤ وتخلوا له عن قبرص . وأرغم الأسبان على الجلاء عن تونس بعد أن مثل في أهلها تمثيلاً عظيماً كان خاتمة سيده للملك

﴿ سلطنة بني عساف ﴾ وفي عهد هذا السلطان سادت السكينة النسبية أنحاء لبنان وسورية . فأراد أن يريح باله من شرّ الفتن التي كان وزراء الدولة وعمالها في هذه الديار يضرمون نارها جراً للفتن لينصرف إلى الحروب التي أصلاها عليه البنادقة والاسبان وغيرهم . فأرصد دولهم باب الساعات وأمنت البلاد شرهم ورحاً من الزمن . وفي أيامه عظمت شوكة الأمير منصور عساف وتوطدت أركان سيادته فتسبب الأمر والحقكام خوفاً من بطشه واجتنب الولاة التحرش به اشفاقاً على سلطانهم من سلطنة . وقوافرت في هذه الفترة لعظم أهل البلاد السورية أسباب الراحة والهناء ولم يقع فيها مما وقع في عهد السلطان سليمان من الحوادث المشؤومة إلا ما كان ينشأ عادة عن جباية الأموال كما حصل سنة ١٥٧٢ في حجة بشري حيث حج أهل سبع قرى أوطنهم على أثر فرض الأمير منصور عساف عليهم ضريبة باعظة أخلت كواهلهم ولم يكن له بدّ منها لدفع المال المطلوب لتخزينه السلطانية ولتواب السلطان

أما في عهد خلفه السلطان مراد الثالث (١٥٧٤ — ١٥٩٤) فزادت الدولة العثمانية إلى شرمها كانت عليه من الاضطراب . فقد جلس على العرش وريح الفتن تهب في أنحاء شتى من السلطنة فاضطربان بسالم أوربا حياً في أراحة نفسه من مشاغل الحروب وويلاتها . فهادن النمسا وأبرم مع فرنسا والبندقية عهدين أعرف لهما فيهما بحقوق جديدة في سلطته وألحقهما بعهدة أخرى أبرمها مع انكلترا . ضد الاتكشارية جنوحه هذا إلى السلم ضعفاً منه فمصوه مراراً وعظمت شوكتهم ولحدوثها في السلطنة كثيراً من المشاغب والفتن التي ضعضعت أحوالها وانقضت بالسلطان إلى صرف أذهانهم إلى

حرب خلاجية يندأ بها شرم عن انعرش . فخارب المعجم واستفتح عاصمة الشام وظلت الحرب سجالاتا بينهما الى سنة ١٥٨٥ اذ عقد الصلح في مصلحة الدولة . ثم حارب الخمسة سنة ١٥٩٣ وتراوحت كفة النصر بين الجانبين الى ان خلع طاعته الفلاح والبنان وترسلقانيا فطلب على امره واضاع فيما كبراً من ممالك الاوربية والبلقانية (١)

ولم تكن سورية في عهد هذا السلطان باحسن حظاً من سواها . فقد تفنى فيها داء الطاعون سنة ١٥٧٩ وحل الضيق باهلها واشتدت وطأة الفلاء حتى بلغ ثمن اردب الفصح ١٥٠ قرشاً وهو ثمن فاحش جداً اذا قسناه على حالة البلاد في ذلك العصر وازى في قيمته النسبية ما بلغه في هذه الايام من الارتفاع في الديار السورية

في نماظم نفوذ بني سيف وتضاؤل سطوة آل عساف . وكانت ايامه شؤماً على الأمير منصور عساف فذرع نوابه في سورية بما فيه باعدائه لنحط من قدره لديه . ورأى السلطان ان يحمل طرابلس ولاية ويرفع شأن حاكمها بحيث لا يكون دون الأمير منزلة ومقاماً فيضف بهذا التكافؤ نفوذه وينحط شأنه فيأمن جانبه . فولى شليها يوسف باشا سيفاً التركاني وابوعز اليه بلسان نوابه ان يعمل على الخط من قدر ابن عساف جهده طاقته . فاضطهد ابن سيف اعوان الأمير ولا سيما الشدياق خاطر المحصروني مقدم حجة بشري وشريكه المتقدم مقلد المعروف بالحسيناني من المتقدمين الناحية وكانا من خاصة هؤلاء الاعوان وأعظمهم شأنًا في ولاية ابن عساف . فقرر مقلد الى بلاد الشوف ومات هناك . وسبقاً المتقدم خاطر الى بعلبك وظل فيها الى ان اضطر سيفاً باشا ازاله ما شهد من سيطرة عشيرته وانصاره الى استرضائهم برده الى ولاية الحجة وجعل الشدياق بالخوس بن صادر الحديثي شريكاً له فيها (٢)

(١) ان المعاهدات التي أبرمها سلاطين آل عثمان مع ملوك سوريا في القرن السادس عشر كانت أساساً لما أحرزته الدول الاوربية في الممالك السنية من السطوة والشوذا الذين احتفظت بهما الى ايامنا هذه . وقد أحرزت الدولة العثمانية منها ما عجزت دولة غيرها بتدبير ما جاء في شروط الصلحة التي أبرمها السلطان مراد الثالث مع ايزابل ملكة اسكتلندا من انه سمح للسفن الانكليزية برفع العلم الانكليزي عند دخولها الموانئ العثمانية . بعد ان كانت لا تدخنها الا وعطياها العلم العثماني

(٢) ان المتقدمين في لبنان بلغوا من بسطة الجاه والنفوذ ولا سيما في القرنين الخامس عشر والسادس عشر ما كان يضطر للوزراء والأمراء أن يحسبوا لهم حساباً كبيراً . وقد اشتهر

نكة بني من الأولى ^١ ولم تطل جد ذلك أيام الأمير منصور عساف قوفي سنة ١٥٨٠ وخلفه ابنه الأمير محمد . أما يوسف باشا سيفا فلم يكذب بيسم له الدهر حتى عزل عن ولاية طرابلس وعاد إلى عكار . وحدث بعد ذلك أن عصاية من العصوص سطت على خزينة السلطان في جون عكار ونيتها . ونمي الخبر إلى السلطان على وجه يوم أن العصاية فعلت ذلك بإشارة أمراء الدروز وغيرهم من حكام البلاد وفي جعلتهم الأمير محمد عساف . فأمر نوابه في مصر ودمشق وحلب بمحشد جيش كبير لتأديبهم . فاجتاح جعفر باشا العلواني بلاد عكار . وسد إبراهيم باشا وإلى مصر سبل التجارة على الدروز . فاشتق الأمراء على سننهم من بطش إبراهيم باشا واستسلموا له . ولم يخاف إلا الأمير قرقاس المعني فلجأ إلى سفارة جزيں الشهيرة ودمه وهو فيها مرض أودى بحياته . وكان له ابنان غفر الدين ويونس . ففرّ بهما الشيخ كيوان الديراني مدير ولاية ايها إلى كبروان حيث آواهما الشيخ أبو صفر إبراهيم الخازن إلى أن انقرضت حلقات الأئمة عن بني من ضادا أن عيه ونزلا على خالها الأمير سيف

منهم في هذه الحجة المقدم يعقوب بن أيوب الذي ولاء على حجة بشري الملك الظاهر بوقوق (حكم) ٦٢ سنة . وعقاب أولاده واحفاده على ولايتها وهم المقدمون سيفا وقرومزر وعبد النعم الأول وعبد النعم الثاني الذي توفي سنة ١٤٩٤ تاركا الحكم لابنه يوسف أبي المقدم الياس الذي دانت البلاد في عهده لصلو جان بقي مثقال (١٥١٧) وخلفه ابنه يوسف المبروك . وبعد المضم الثالث فازعه الولاية كمال الدين المبروك بابي عجمه فقتل به عبد النعم سنة ١٥٣٧ لكنه لم يستتب له الأمر طويلا فانتقم منه الحادية وبنو قر من نصارى عين حايا وقملوه نجلة مع أولاده وبذلك انقرضت ذرية المقدم سيفا وانتقلت الولاية إلى آل قروسي مقدمهم عناحله . وأول من تولى منهم المضم رزق الله ولاء على الحجة الأمير منصور عساف فأنصرف إلى تسير البلاد ووقعت بينه وبين أخيه شاهين نفرة افضت به إلى قتله ثم قتل رزق الله هذا بأمر قاضي طرابلس سنة ١٥٧٣ فأقام الأمير منصور عساف اخاه دافرا وعسافاً ابن أخيهما موسى مقدمين على الحاية . ثم قتل المضم دافرا بأمر والي طرابلس وقتل المضم عساف بأمر الأمير منصور وتولى البلاد أبو سالم القريمي وأسأه أنصرف فنزله الأمير دولى مكاء المتقدمين مقلد المسيباني من المناطقة والشدياق يوسف أبا رعد المبروك بنظر ابن الشدياق شاهين الحصري بن الشدياق شاهين المديوني الكبير الجد الأصلي لبني المديوني الذين جاؤوا من حدود الشرق إلى حجة بشري في ولاية المديون سنة ١٤٧٠ ولحقوا إلى منصب الحكم وهم خمسة فروع أصلية نشأ عنها كثير من الفروع الثانوية اتخفت أساء بختة كيني للتديق وعود والسماوي ومطر وفرحات وثابت ومحمد وبركان . وكان لهم شاق خطير في تاريخ لبنان . وقد تولى للمضم جاطر إلى سنة ١٦١٢

الدين التنوخي^(١) . ولما بلغا أشدهما امتعادا ولاية الشوف وذكرنا جيل الشيخ
ابراهيم الخازن عليها فخره الامير فخر الدين مديراً لحكومته وجعل أخاه دليلاً
دهقاناً لأملاكه (١٦٠٠) وكان ذلك منشأ نجاح الخوازنة^(٢)

وسكنم بالاشتراك مع الشدياق بخوس الخنثيني جد آل باخوس في كسروان ثم مع ابنة الشدياق
فريج . وخلفه ابنه المقدم ومعه فخرهم بالاشتراك مع فريج هذا وخلف هذين المقدمين ابو طاشينا
شلموب الذي قتله الامير فخر الدين الثاني الذي مع ابنه طاشينا بعد ان ملأ البلاد فساداً وجوراً
وصني بنو الشردقي على يده ربه سيفاً باشا والي طرابلس يحط بجم فصب باموالهم وارزاقهم
واودي بجمائة ثلاثة من ابناء المقدم خاطر

(١) يرتقي التنوخيون بنسبهم الى النعمان بن النضر بن ماء السماء العدني ملك الحيرة .
وعم ينتسبون الى تنوخ اشهر امراءهم الذي ارتحل بهم الى الجزيرة الفراتية واطلق اسمه على
المكان الذي زلوه هناك . ثم انتقل قسم منهم الى بر حلب . قال ابن العبري في الاسفة السريانية
من تاريخه ما مؤداه انه لما جاء الطاهدي الخليفة العباسي المروفي الى حلب فغزوا لاستقباله
في موكب عظيم استرعى نظره ونق عليه أن يطروا بهذا الظاهر البديع وهم نصاري وعددهم
يناهز خمسة آلاف فارس فآكرمهم على الاسلام وابلج ثلثيت أحد ابطالهم قتله . وحدث بعد
ذلك ان جاني اموال حلب انتهك حرمة فقتله به نيا أحد امراءهم وارتحل بتيكته الى لبنان
حيث انما كان لاقامته مكاناً يعرف الى اليوم ببرج نيا . وخلف الذين خلفوه عنه انتقام والي حلب
وكانوا عشر قبائل فلهغوا به الى لبنان وفتحوا بين سواحل بيروت وبلاد الغرب والمث وكان
مقبرة استسروها . وأشهر بني تنوخ علي باشا التنوخي الذي كان أبا الانكشارية في الاستانة
وقد نبغ منهم الامير محتر الذي حالف الامير من وساعده على استعمار الشوف . وهو ابو
الامير زهير التنوخي الذي طمر لثام نور الدين زنكي صاحب دمشق وحاقه وحارب الأفرنج
ففتكوا ابناءاته الثلاثة في حصن سرحول . ومنهم الامير جعي الملقب بجبال الدين وقد بقى سني
حكمه في محاربة هؤلاء الأفرنج ومات سنة ١٢٠١ . وتماثل آل تنوخ على حكم بلاد الغرب
ون جنتها بيروت الى سنة ١٢٠٩ حيث فتك صبرهم الامير علي حفيد الامير علي الدين من
الرمطوني ببلادهم في حربه على اتركة الخوازة الحزب الخبيثة وكان ذلك آخر عهدهم بحكم الغرب .
وينسب الى السورجيين الامراء الارسلانيون من النخابة الشوف وينوا اوارس وهم الامراء
الدهيون أصحاب اليد ويباقي ذكرهم

(٢) ان الشيخين اباصقر ابراهيم واليا صافي دليلاً ما ابنا الشدياق سر كس الخازن الذي
انتقل سنة ١٥٤٥ من قرية سراج في بلاد جيل الى ليلوار في التنوخ على عهد الامير منصور
عساف . ثم انتقل الى بونة ومات سنة ١٥٧٠ . وقد نبغ من سلالة ابراهيم ابنه خازن
المروفي باي نادر ولاء الامير فخر الدين علي كسروان وجعلها ارضاً قريبة من بوسه
وخلفه ابنه نادر المعروف بابي نوفل واشتهر بالحكمة والوفاء وتوقد للجهنم والقيمة وطاهر الامير
ملحم الذي ابن أخي فخر الدين وابنه أحمد وقرفاس وكان له عندهم منزلة سامية . وهو الذي

أما إبراهيم باشا والي حلب فصار إلى عين صوفى وقتل من عقاب النوروز
ومشائهم خمسمائة نفس . ثم واصل السير إلى حلب مصحبا بالأمراء الذين
استلموا له وفي جملتهم الأمير محمد عساف ومضى بهم إلى الاسنانة فأكرمهم السلطان
مراد وأقرهم على ولاياتهم

ثم أنقراض بني عساف وانتقال ولاية كسروان إلى بني سيفا . وسنحت
للأمير محمد عساف فرصة لتأثر لايته من يوسف باشا سيفا فصار لقتاله سنة ١٥٩٠ .
وكان ابن سيفا يرقب حركته ثملا يأخذه على غرة فوقعه في كمين نصبه
له بنو البترون وعقبه المصلحة وقتل به وبدد رجاله . وموت هذا الأمير
انقرضت سلالة بني عساف وانقضت ولايتهم بعد أن حكموا ٢٨٤ سنة . وخبط يوسف
باشا أملاكهم وتزوج ذو الأمير محمد سيفاء أرملة الفيل وقتل باعواتهم وفي
مقدمتهم سايمان ومنصور حيش فلجأ أبناهما يوسف وحيش إلى الأمير محمد بن جمال
الدين الجني في الشويفات وولي ابن سيفا مكانهما على غزير المشايخ الحمادية واستصحبهم
إلى طرابلس لبعض الشؤون وهناك أوجس شراً منهم فرأى أن يشغلهم عنه والى
بينهم وبين السباهم بني المستراح في حجة المتطرفة فتة كبيرة أنضت إلى قتل الشيخ
قاصوه حماده وبدد رجاله وبذلك تم لابن سيفا ما أراد من كسر شوكة الحمادية
والنخاض من شرم إلى حين

وفي سنة ١٥٩٤ مات السلطان مراد الثالث وخلفه ابنه السلطان محمد الثالث
(١٥٩٤ — ١٦٠٣) والسلطنة في اضطراب عظيم تخلف بها المخاطر من كل جانب
والأمر فيها للانكسارية وأعواتهم . فرأى أن خير ما يصنع لهمه اضطرب عن تابعه أن

وهو اليونانيين في عين طوره ارحنا أقاموا عليها درهم الشرير الذي نفى فيما بعد إلى الرهبان
الغازاريين وبلغ من النفوذ وبسطة الجاه ما تم يلقه سوء من الحكام الذين عاصروه . وقد
اندم عليه البابا إسكندر السابع بكتب كثاير وجهه نوبس الرابع عشر فتصلا لمولته في بيروت
١٦٥٩ هـ وتوزعت ابنائه هذه القنصلية من أبي قاصوه فباض إلى ابنه حصن الذي لقبه
هذا الملك في البرامة التي اصبرها له بغير الموارنة إلى دينه الشيخ نوفل وهو آخر من تولى هذه
القنصلية من بني الحارث . وتسم ولاية كسروان بين ابنائه الثمانية فتولوها من بعده وتركوها
الركاب لأعقابهم وأخص ما امتاز به المشايخ الحوزنة حسن فطهم عن طاعتهم وشدة غيرتهم على مصالحها
وفي قيام حارسين منهم شاعري السوفى على باب الكنيسة عند انتخاب بطريرك الموارنة إشارة
صريحة إلى هذه الفكرة التي لا جأ لها لثيم أحبار رومية بحماة للعرانية في المدير للسورية

كسرة . وعظم شأن الصديقيين في الديار السورية حتى غلا أيدي الأمراء ووزراء الدولة فيها والقيام الرعب في قلوبهم . فاتفق السلطان أن يقضي نفوذهما واتفاقهما هذا على التولية الباقية من سيادته في البلاد فوطن انتفى على محاربتهما لحشد شوكتهما واسترجاع السلطنة منهما . غير أن الفتن التي عصفت وبمهما في القسم الشرقي من السلطنة صرفت هم السلطان عن حوادث سورية إلى حين . فعمد إلى قضاها بعهد بهذه المهمة إلى وزيره مراد باشا المعروف ببجوجي باشا . فزحف بجيش كثيف إلى آسيا وكبح جماح الهمة ثم عاد سنة ١٦٠٧ إلى سورية لاختضاع علي باشا جنبلات لحاصر الشهباء وقتلها خدعة وأعمل السيف فيمن لم يستطع الفرار من أعوان العاصي وقهر جيشه وبيده أيدي سبا وعدده يناهز ٨٠ ألفاً . وأمر الوزير بالجنبلات وفي جهتهم والدته وجواربه فيموا يسع السلع ثم لجأ هو إلى الاستانة طائفاً فضا السلطان عنه وولاه على إحدى مقاطعات المغرب . وبعد أن أمم مراد باشا مدينته في حلب وأمن على سلطة الدولة في حاتيك الرجوع من سلوة ابن جنبلات عمده إلى خضد شوكة صديقه الأمير نقر الدين . واضطرت الفتنة الثانية في الأناضول إلى التعجيل في قضاها خوفاً من أن يتدلح لسانها إلى البلاد المتجاورة فزحف بجيشه إليها سنة ١٦٠٨ . واشتهر ابن معن هذه الفرصة فتذجه بهدية مائة عذبة المندر حماها إليه ابنه الأمير علي فطالب الوزير نفساً وخلع على الأمير الشاب وأتم عليه بولاية صيدا . بعد أن ألحق بها ولايتي بيروت وغزير وهما ولايتا الغرب وكسروان

سفر الأمير نقر الدين إلى أوروبا . على أن الأيام لم تحف طويلاً لابن معن . ففي سنة ١٦١١ توفي مراد باشا وخلفه في الصدارة نصوح باشا . فبعث إليه الأمير بهدية مائة أردفها بهديتين من الصابون والانسجة اللبانية الفاخرة . فاستقل الوزير ذلك بإزاء هديته إلى سلفه وأحضر له النسر

وكان ابن معن نصير الأمير يونس الحرفوشي والأمير أحمد شهاب علي أحمد باشا وإلى دمشق لندس أخياحه إزد جليك ووادي التيم ومحلونه رفع ولايتها عنهما . وكان هذا الوالي من جهة أخرى عزل عمال عجلون وناجلس وحووران فصاروا

النكية إلى لبنان حيث لجأ إلى صديق أبيه الأمير نقر الدين الذي وصرف بجهة حياته في الجبل وأقامت ندرته فيه إلى اليوم وتوالت الزعماء في أحد حزبي الدروز الكبارين (الجنبلاتية واليزيدية) الذين تنازعا السيادة والنفوذ عتية طويلة من الأمير

ومدمم فخر الدين بثلاثة آلاف مقاتل أوفوا بصلحهم واحد بانسا وأعادوا إلى هؤلاء العمال أقطاعاتهم هذه . فتم الوالي على الأمير وأوغر صدر نصوحى بانسا عليه وكان الوزير يحين الفرص لصب جام نغمته على ابن معن . فصادفت وشاية الوالي هوى من قواده وزحف على سورية بجيش عظيم . وانقضت تحت نوائه ولاية الاناضول وحلب وعلربلس بصلحهم وأعوانهم . واذ بلغ إلى دمشق استسلم له الأمير يونس الحرفوش والأمير أحمد شهاب وابنه حاكم وادي النعم . أما الأمير نثر الدين فلم يركن إلى الوزير وأنس من نفسه عجزاً عن مقاومة جيش السلطان . فالتمس العزلة في البرية . فاعترضه الأمير أحمد شهاب متأسياً بصلح عليه وقطع الطريق على ابنه الأمير علي وبدد رجاله . فجمع الأمير نثر الدين أعوانه في الدامور واستغرم لقتال فلم يفلح . واذ سددت في وجهه أبواب الظفر أتى بصلح إلى قلعة نجا « شيفت يرون » وحشد رجاله وأنصاره في قلعتي بانياس وشيفت ارنون بمدان حصنها أعظم تحصين . وعهد بحماية ابنه إلى الشيخ عمر حاكم حوران وهو أحد العمال الذين استقروا على والي دمشق يوم طردهم هذا الوالي من أقطاعاتهم على نحو ما قدما . ثم جمع مشايخ الشوف والمشايع الخوازنة ونجدهم من أعوانه وفي جملتهم شقيقه الأمير يونس وكاشفهم مزمه عن الرحيل إلى أوربا ونصح لهم بالاركنوا إلى وزير السلطان ولا يفتروا بواعيده وحشهم على الاتحاد والتأزر ايقموا على دفع المغارات عن بلادهم . ثم أبحر إلى إيطاليا وبرفقته إحدى زوجاته ومديره الشيخ كيوان الديري والشيخ أبو صقر الخازن (١) واستقل الأمير يونس بجماعته المقيمين من بعلين إلى دير القصر

نكتة بني معن الثانية على أن أرغمال ابن معن عن لبنان لم ين أحد بانسا وإلى دمشق عن عزمه بل زاده قحة وجراة على الاسترسال في غيبه وتقيد غرضه

(١) قصد الأمير فخر الدين إلى توسكانا وكات و ذلك العهد تحت ولاية ملوك فرنسا وبين ذلك مودة يرجع عهد إلى الوقت الذي كان يحار هذه الدولة يرتادون فيه الديار السورية للانجاسار فقاتلون من حفاوة الأمير بهم وترويحهم لتأجيرهم ما يحكم صلات الدولة بينه وبين أميرهم . فبالغ لذلك دوق توسكانا برجال تولاه في إكرام أمير لبنان وعين له مرتباً دائرته لي أجل قصور ليفورنو ورواف على خدمته حاشية كبيرة . ثم لم متطعة مسينا فاسبانيا فرحب به السلطان وأقام سنة في ضيافته ثم عاد إلى توسكانا وبعث له فرجة فركب انبحر إلى سورية لمتاهدة أدله ثم رجع إلى توسكانا وبعد مدة عاد إلى لبنان بعد أن أقام في بلاد الاقربح خمس سنين

في آله وأعوانه يبادرتهم بضربة لا تقوم لهم بعدها قائمة . فولى حسين باشا سيفاً على يروت وشيخ مظفر عميد العجبة على بلاد الشوف وأبن البستجي على صيدا — وهم أعداء المؤمنين . ثم زحف بثلة ألف مقاتل على بلاد الشوف ليستلم ثقتهم منهم . وحصر قاضي شقيف أرنون وبانياس مدة خمسين يوماً . فاستقل محاربتهما في الدفاع وأرغموه على رفع الحصار عنهما من غير أن يظفر منهما بباطل . فذكر في شأنه هذا تار الغضب في صدره وأباح لمساكره اجتياح الشوف والتكيل بسكانها . فقال ذلك الأمير يونس المعنى واسترضى الوزير بالمال فجلا بمساكره عن البلاد بعد أن ارتهن والدته وفسرأ من خاصته ضماناً للمال الذي تعهد له به . غير أنه لم يكديها روع الأمير حتى اجتاح هذا الطاغية بلاد الشوف ثانية وأحرق دير المؤمنين في دير القصر وقتل بمن كان هناك من أعوان ابن معن . فاعتصم الأمير يونس بقلة بانياس مع أربعة من وجهاء الشوف . وغزا الوزير وادي برة بضم من حيثة فظفر الشوفيون به . ثم اتعاد الكرة عليهم بجيش كبير فكلوا له ضربة أشد من الأولى فاشتد حنقه على بني معن وانصارهم وأطلق أيدي عساكره إلى النهب والسلب وأباح لهم أموال العباد وأرزاقهم ودماءهم . فكانت بحيرة مربعة هائلة استمرت أربعة أيام متتابعة . ولولا مفاجئة هذا الطاغية لبأ الفتيل نعوحي باشا الصدر الأعظم وخوفه سر العاقبة لما رجع عن بلاد الشوف وفيها نسمة حية . وقد كان ما قدره لنفسه من العقاب فزل وجوزي على ما جنت بداهة الايمان

رجوع نحر الدين واسترجاع المؤمنين لسيادتهم . خلف أحمد باشا على ولاية دمشق جركس أحمد باشا (١٦١٣) فأنس أهل الشوف على أرواحهم وأرزاقهم وولى عليهم الشيخ يوسف المسكاني من أعوان المؤمنين . وطيب خاطر الأمير يونس وأطلق سبيل والدته ومن كان معتقلهم سلفه من خاصته . وعهد إلى الشيخين أبي نادر أخازن وأبي أصدقه آل معن وضاهر جيش بحينة مال الأشجار . واستدعى الأمير نحر الدين من مناء بغداد سنة ١٦١٧ إلى لبنان بعد أن تيب عنه خمس سنين . وذكر الأمير يونس ما تمال من الشأن العظيم عند رجال الدولة ففزع الوزير بمائة مائة عظيمة القدر وباعده على مثلها عسائبة . وذلك قلبي الشقيف وأرنون الحسينيين إلى الحشيش سلا على أن يكون إليه والوقوف بمدق ولائه . فاتم عليه الوزير بولايته صيدا وبيروت وعلى الأمير علي ابن أخيه بولاية صفد . وقد حافظ جركس باشا على

العمد الذي قطعه مع آل معن فامر حسين باشا سيفاً بالتدخل للامير يونس عن ولايتي بيروت وكسروان قاضي واتفق مع الامير شهاب الخرفوش وأمرأه رأس نحاش على المقاومة . فقاتلهم المنيوت على عين الناعمة وهزموهم وهب الخنية في أعيه وأغيب وعين داراً للمقاومة القيسية أعوان آل معن . فقاتلهم هؤلاء وظهروا بهم ودخل الامير يونس بيروت فعاذه أعينها على الولاء . ثم أقعد رجاله الى بلاد الغرب وأطرد والمغن فتهوا انقري وحرقوها انقاراً من أهابا لما اقترفوه من الموبقات في بلاد الشوف لدن احتياج احمد باشا لها على نحو ما تقدم . ورأى الشيخ مظفر والي الشوف وابن سيفاً ان لا قبل لما بنامية المنيوت فاهزمها باهلها الى بلاد عكار ولم تقابل أيام ابن سيفاً بعد هذه النكبة فاحتاله قراقوش والي حلب سنة ١٦١٦ . وبذلك دانت البلاد لسلطة الامير يونس فولى على كسروان الشيخ أبا ناصر الحازن ومملوكه ذا القمار فاقاما في غزير ونصب الصالح على بقية الأعمال

أما جركس باشا فعزل بعد تلك المواقف المشؤومة بوقت قصير وتولى دمشق مكانه احمد باشا الجوخدار . فانتزع ولاية صفد من الامير علي المعني لتفكيره في تفجحه بالحدية المالية التي ينفضها الولاة عادة لدى فدوهم الى سورية . وولى عليها حسين اليازجي (١٦١٧) فظلم الامر على ابن معن — وكان أبوه الامير نجر الدين عاد من توسكانا واسترجع ولاية الشوف وعزز مركزه بجده . فغضب الامير الشاب رجاله وسار الى صفد فدخلها عنوة واسترجعها من اليازجي بعد ان قتله وأعمل السيف في رقاب رجاله واسترضى وزير الشام بانك فاستصدره هاتله أمر أمن الاسنة بتولته على صفد وحيداً وبيروت

هنا في الجنوب أما في الشمال خلف المقدم خاطر المصري على ولاية حبه بشري ابنه المقدم رعد (١٦١٢) فحكم بالاشتراك مع المقدم فرج بن باخوس الحديثي . وخلفهما أبو عشرين شهاب من أنبياء الناحية الذين كانت انقرضت سلالتهم بموت جمال الدين بن المقدم مقدر . فثار وبني ونازعه الولاية نعمة وداود وجرجس أخوة المقدم رعد فطلب عليهم بموتة يوسف باشا وقتل بهم ونجح ذروهم اني حية السيطرة وخلال له الجوخكم تسع سنوات

وفي أثناء ذلك عمر السلطان احمد الاول بدنو اجله وابنه عثمان حديث السن . فخالف العادة المرعية في وراثة العرش وأوصى بالخلافة الى اخيه مصطفى . على ان

هذا السلطان لم يملك الا ثلاثة اشهر قآمر عليه الانكشارية وخلصوه (١٦١٨) وادوا بثمان سلطاناً وسمي عثمان الثاني . وكان عمه أوغر صدر ملك فرنسا عليه سوء تصرفه مع سفيره فاسترضاه وصادقه . وطمحت نفسه الى الفتح وكانت بولوتيا نازعته سيادة البغداد فحاربها وعجز عن خضد شوكتها فارغمه الانكشارية على محاربتها سنة ١٦٢٠ . وحاول انتزاع السلطنة منهم فاجبوا مساه وخلصوه في السنة التالية واغتلوه وادادوا عمه السلطان مصطفى الى العرش فالتى مقاليد الامر اليهم مكرهاً فجاروا وبسوا واضطربت املاك السلطنة واستبد الولاة بالحكم فساءت حال الرعية وتولاها الجزع والفتوط تخاف انقلاب الدولة سوء المصير وخلصوا السلطان في السنة التالية لجلوسه على العرش ونودي بالسلطان مراد الرابع

﴿ نكبة آل سيف الاول ﴾ أما سورية في عهد هذين السلطانين فلم تكن اسعد حظاً من غيرها . ففي سنة ١٦١٨ تولى طرابلس عمر باشا انكشارجي وحاكمها يومئذ يوسف باشا سيفاً قد خلى له عنها مرثاً واستبقى لنفسه ملحقاتها وقلب له ظهر الحن . فاستجار الوزير بالامير خير الدين الممني . فزحف الامير برجله الى اميون ومعه الشيخ ابو نادر الحازن حاكم كبروان . وفر ابن سيفاً الى عكار فجاء نضر الدين في اثره حتى ادركه وحصره في حصنها . نيران شقاسة ووزير حلب ودمشق به راضفاق ابن مهن أن تؤذي مقاومته لحيشها الذي كان مرابطاً في حصن الى ما لا تحمد عقباه حملاء على دفع الحصار عنه بعد أن فرض عليه الجزية وتركه وذاته . غير انه عاد بجيشه الى جليل وكانت في عهدة ابن سيفاً هذا فذلك قادمها الى الحضيض على عظم منعها والحقها بولاية كبروان . ثم فتح قلعة اسمر جليل وولى على بلاد البترون المقدم يوسف الشاعر . أما يوسف باشا سيفاً فتمكن بانك من استرجاع ولاية طرابلس . ولكنه اضطر بعد حين الى التخلي عنها بامر وزير دمشق الى حسين باشا الجلالى . وعُهد الى كتمخده مصطفى آغا بحكم ملحقاتها وفي حملتها جلة واللاذقية وبذلك حصونها وقلاعها وضبط املاك ابن سيفاً وارزاقه . فضاقت اميل بهذا الطاغية ورأى أن لا مناص له من استرضاء ابن مهن وخطب مودة فبعث اليه بابنه الامير حسن وكان الامير السيفي حسن الطامة ذكي الفؤاد فانطط خير الدين اليه وازوج ابنه الامير علي المعني ببنته — وقيل بشقيته . وكان هذا الزواج سبباً في عقد الصلح بين ابن مهن وابن سيفاً وامن هذا

بطش نحر الدين قاطمان بالله وتفرغ لاصلاح شأنه مع الدولة فظفر بفتته واسترجع ولاية طرابلس

غير ان حرص الدولة على قاعدة التفريق التي جرت عليها في سيادة ممالكها واستبعاد رعاياها حال دون اتفاق الاميرين الى امد جيد . ذلك ان الصدر الاعظم بعث سنة ١٦٢٠ بسأل الامير نحر الدين تحصيل المال السلطاني من يوسف باشا سيفا فدار ابن معن برجاله الى برج البحصاص لمطالبة ابن سيفا بالمال فولى مديراً الى حيلة وحاول ارضاءه على يد ابنه حسن باملاك بني عساف في بيروت وانطلياس وغزير فلم يفلح . وشدد الامر في طلب المال منه فابى واستنات بسليمان باشا والي دمشق وعرب حمص والبقية وتركها فشدوا ازره وقاتلوا ابن معن على النهر البارد فدحرم وحاصر قلعة طرابلس فمجز دونها . وفي أثناء ذلك ارسل اليه الباب العالي خلعاً وسأله الكف عن مطاردة ابن سيفا فرقع الحصار عن طرابلس وقفل راجعاً الى قاعدة ولايته

وكان مامراً بابن سيفا من عبر النهر وعظاته لم يكن كافياً لاثابته الى رشده . فعاد الى اسوأ مما كان عليه من مناكسة ولالة البلاد وحكامها وازال البسايلا السود بسكانها . على ان الالام لم تصب له طويلاً بعد تلك الضربة التي كالمها له ابن معن . ذلك انه في سنة ١٦٢١ تولى طرابلس عمر باشا الكناجعي واشفق على سلطته من سطوة يوسف باشا سيفا فاستجد عليه الامير نحر الدين . ولم يكن الامير الكردي نسي ما ناله من الذل على يد ابن معن فعزل الولاية مكرهاً ومضى باهله الى عكار . وبعث الامير المعني فطرد أعوانه من حجة بشري وولى عليها الشيخ أبا صافي الخازن وعلى عجلون ابنه الامير حسين وعلى حمص عمر بك سيفا . ولم يخذل ابن سيفا الى السكون فاوزر محمد باشا الكرجي الصدر الاعظم الى والي دمشق والامير المعني أن يفضيا على سطوته ويضبطا املاكه تسديداً لما كان مطلوباً منه للخزينة من الاموال الاميرية . واراد والي طرابلس أن يستوثق من ولاء ابن معن فدخل له عن بلاد جيل والبترون وحجة بشري والضنية وعكار . فزحف نحر الدين بجيشه الى طرابلس وبرفقته الامير محمد شهاب فرحب به عمر باشا اعظم ترحيب . واراد أن يتأهب السير الى عكار لمعاينة ابن سيفا . فذوحي بنياً تولى قرا حسين باشا الصدارة وانتهى ولاية طرابلس الى عهدة عدو هذا . فاضطر أن يعود من حيث أتى . وقد استعاد يوسف باشا سيفا ولايته وجد في حيازة الضرائب تسديداً للاموال المطلوبة منه للخزينة واتى من ضروب الجور

والاعتساف ما حمل جماعات كثيرة من أهل حجة بشري على الناس النجاة في المهاجرة إلى دمشق وحلب وغيرها . وكان عاشينا بن شلحوب مقدم هذه المقاطعة قد آمن في البني والتحكم في الرقاب وبلغت به الصحة إلى نهب دير القديس توما في حصرون وقتل راهب من رهبانه . وكان الشيخ أبو صافي صاحب الكلمة النافذة فيا قبض عليه وساقه إلى نجر الدين فقتله ثم ألحق به والده (١٦٢١)

وقهر نجر الدين بني الحرفوش وطريه واقفاته جيش دمشق بغير أن الأمير نجر الدين لم يأمن على سمو منزله وعظم شأنه وسلطانه دسائس حساده ووزاحيه من أمراء البلاد وحكامها . ذلك أن الأمير يونس الحرفوش صاحب بعلبك وشي سنة ١٦٢٢ بمال نابلس وعجلون إلى والي دمشق فزلمهم — وكانوا يحكمون البلاد بامر نجر الدين . فقم الأمير المعني على ابن الحرفوش ونهب مزارعه في البقاع . فاستغاث هذا بوالى دمشق وعرض عليه نصف المال المرتب على أقطاعي صفد وعجلون . فولاه على أولها وولى صديقه الأمير بشير قانصود عميد بني طريه على عجلون . ووالاه الأمير أحمد طريه والشيخ أحمد الكناني من حكام تلك البلاد فاشتد ساعدها . وأوجس نجر الدين شراً من هذه المصيبة فاقعز إلى أعوانه بأضرار النار في قرى عجلون والكركم وزحف برجاله لمعاينة آل طريه . فابرى له العرب عند نهر العوجاء فاقترعوا منه ما كان غنمه من أسلاب أعدائه فتنهقر إلى خان جلبجولية بعد أن مني بخسارة جسيمة . غير أنه لم يطل به الأمر حتى استصدر أمراً من الأستانة بتولية ابنه الأمير علي على صفد . وخلول الأمير يونس الحرفوش الوقوف في سبيله فزلمه ابن معن وأضرم النار في قراء وفي جبلها الكرك وسرعين وقتل جماعة من أعوانه . فشق الأمر على وزير دمشق وزحف في السنة التالية بشرة آلاف مقاتل للانتقام من المعنيين . وانضوى تحت رايته الأمراء الحرافشة وبنو سيفا . فالتفاهم فخر الدين ووليائه الأميران علي وأحمد الشهابيان صاحبي وادي النعم^(١) برجالهم وأعوانهم عند

(١) الأمراء الشهابيون جلن من بني قريش . وهم ينسبون إلى ملك الملقب بشهاب من بني مرة بن كعب . وقد تولى ملك هذا امارة حوران في خلافة عمر بن الخطاب . وتغلب ابنائه عليها إلى أواخر القرن الثاني عشر حيث ارتحل بهم غيدهم الأمير متقد حديق السلطان صلاح الدين الأيوبي إلى وادي النعم (١١٧٢ — ١١٧٣) . وكان الأفرنج انزعجوا من يد الأمير زهير الدين التتوغئي فجلوهم عنها بعد حصارك شديدة أسفرت عن انهيار الأفرنج واعتمادهم بالجيال المالية . فغضب بذلك شأن الشهابيين لدى الملوك والأمراء ولا سيما لدى نور

تبع غنجر في لبنان الشرقي . ودارت وحى الحرب . فاحرز بن معن فوزاً ميئاً وأفضى جيش دمشق عن بكرة أبيه واستأسر الوزير وعامله معاملة حسنة طلق بكرامة الأمراء وقمت من قومه أحسن موقع . نخلع الوزير عليه واقومه على سناجق عجلون وحفد ونابلس والبقاع العزيز . ووحفاً معاً على يديك لمعاينة الأمير يوسف الحرفوش . ففتر هذا إلى معرفة النعمان حيث قبض عليه مراد باشا وزير حجاب واستعمله في قلعة سلمية . وعاد الأمير نحر الدين إلى بلاده بعد أن فتح قلعة بعلبك الشهيرة ودمر قسماً منها . ثم غزا ابن معن وحليفاه المتقدمان بلاد عجلون ونابلس . فقبض على طرية ومجازيهم وردوهم عنها إلى صيدا وأمنوا في بلاد ابن معن قتلاً وسلباً ولبثوا في غزواتهم هذه إلى ساحل عكك . فشد الأمير المعني جيشه لرد الغزاة وأرغم الأمير بشير فانسوه وأمراء العرب الموالين له على الدخول في طاعته



نبأ السلطان مراد الرابع عرش بني عثمان سنة ١٦٢٣ وهو شاب ضعيف الإرادة فاستأسر الانكشارية بالسلطة من دونه عشر سنوات متتابعة إلى أن أتيح له أن يستردها منهم ويكبح جماحهم . وقد حارب المعجم واستفتح بغداد ثم انزعها منه الشاه عباس بخيانة بكر أغا رئيس شرطتها . فلم يطق صبراً على خروجها من يده وحاول استرجاعها فاختفق فأرجع الانكشارية عليه وانصرف قسم من جيشه إلى قمع ثورة باباطه باشا وإلى أرضروم (١٦٣٨) . على أنه نكح عني النفس بادماجها في سلطته إلى أن مات الشاه وخلفه ابنه مرزا خان وهو حديث السن . فاستنصفه السلطان وأستولى

الدين ملك دمشق وبني معن أمراء الشوف . فطاف بهم وشاطرهم فخر الانتصار وملة الانكسار في الحروب التي خاضوها تحارباً تحت راية واحدة . وصامروهم وبهذه المصاهرة المفضت ولاية لبنان إلى الشهابيين من بعدهم (١٦٩٢) . وقد حكموا في أنحاء شتى من الديار الشامية زهاء ثلاثة عشر قرناً تخللتها فترت قصيرة خرج فيها الحكم من يدهم . وجاء الفتح الشهابي موطئاً لقدم سلطانهم حيث أقروهم السلطان سليم على اقتناعهم في وادي التيم مكانة لحاكمه الأمير منصور الشهابي على اختياره مع الغزالي نائب النفوري في دمشق إلى جانبه في وقعة مرج دابق الشهيرة التي كانت بدء القضاء على سلطة السالك في الديار الشامية والعمرة على نحو ما تقدم . وآخر من نبغ عنهم الأمير بيزم قاسم الكبير البطون اللبناني الشري . وكان الشهابيون يدينون بالاسلام ثم اعتنقوا النصرانية وكانوا من أكبر انصارها في القرنين الماضيين . وظلوا عليها إلى اليوم . وقد اقتسمهم نظام لبنان الأخير (١٨٦١) امتيازاتهم القديمة فقتلوا شيئاً كثيراً من قوتهم وزرعتهم .

على همدان سنة ١٦٣٠ وحاول استرجاع بغداد فمجز دونها وثار عليه الانتكشارية في سنة ١٦٣٢ فقمع ثورتهم وقتل زعيمهم خسرو باشا واستقم منهم على وجه نقشر له الابدان . فاستتب له الامر وامن الناس في أنحاء السلطة على ارواحهم وارزاقهم الى حين . ثم استأقب محاربة النجيم واستفتح بعض مدنها وحاصر بغداد سنة ١٦٣٨ وفتحها وارغم الشاه على التخلي له عنها في معاهدة الصلح التي أبرمت بينهما سنة ١٦٣٩ . بعد تلك الحروب المائلة التي استغدت قوى الدولتين الشرقيتين واوردهما موارد الهلكة والدمار . على انه لم يكدهما بهذا الفتح المبين حتى وافته منيته في السنة التالية على حين كان يتي النفس بالطيب الاماني واهد الامال . وخلفه اخوه السلطان ابراهيم (١٦٤٠ — ١٦٤٨)

﴿ نكبة بني سيف الثانية وتخلص نفوذ الخرافشة ﴾ أما السوربون فقد تالم في عهد السلطان مراد من الولايا والولايات ما لم يلم في عهد اسلافه . وكانت خلافة شوما على بني من واعوانهم . فاساطت بهم الارزاه احاطة السوار بالقمص وقضت على سطوتهم في ديار الشام قضاء بمرأ . ذلك انه بعد ان امن الامير فخر الدين على سلطته في جنوب سوريا زحف بجيشه على بلبك للفضاء على سقاوة الخرافشة . ثم استأقب السير بطريق حبة يسري الى طرابلس . وكان قد افضى الحكم فيها الى الامير قائم بن يوسف بامنا سيف (١) الذي اعداء المؤمنين . فدخلها ابن من عنوة وأمن رجاله فيها قتلا ونهبا . ثم جلا عنها وولى الباب العالي عليها مصطفى باشا اسكندر فجار وبنى وولى على عسكر الامير سلمان سيف

وفي سنة ١٦٢٤ اقرت الدولة الامير فخر الدين على ولاية بلبك . فشق ذلك على الامير حسين بن يونس الخرفوش وسعى في استرجاعها بمساعدة والي حلب فاخفق مساه . وحاول الامير قائم سيف استرجاع ولايته على طرابلس فلم يفلح وفهره مصطفى باشا واراد أن يقضي على سطوة آل سيف وأنجده فخر الدين بجيش كبير سار فيه الى بلاد عكا بطريق البقاع فقرر الامير سلمان سيف من وجهه الى سلمية حيث قبض عليه صاحبها الامير مدح وأفاده في القرات . فوقع الرعب في قلوب بني

(١) توفي يوسف باشا سنة ١٦٢٤ بعد ان حكم طرابلس ٤٥ سنة (١٥٧٩ — ١٦٢٤) تخلصها فترات قصيرة خرجت فيها من يد وخطه على ولايتها ابنه الامير قائم حاكم جيله . وكان له ابنان آخران الامير محمد حاكم حصن الاسكندرية والامير بك حاكم بلاد عكا

سيفاً وألقوا أمرهم بين يدي ابن معن ضفا عنهم بعد أن عاهدوه على الولاء وتخلوا عن قلعتي المرقب وحصن الأكراد وهما أمتع حصونهم

﴿ انشاع ولاية فخر الدين وتعاظم أمر المؤمنين ﴾ وكان قد اتصل بالباب العالي ما كان من اجتياح فخر الدين لمدينة طرابلس . فزحف خايل باشا الصدر الأعظم بجيش عظيم على سوريا لمحاربة الأمير . فاسترضاه وهو في حلب بالمال وتخلى له عن بعض الحصون في شمال سوريا . وكان فخر الدين على أمه وفاق مع عمر باشا الدفردار الذي كان خاف مصافى باشا على ولاية طرابلس ، فاجلس الوزير شراً من اتفاقهما هذا وعزل الوالي . لكنه أرضى ابن معن بنسكة بالأمير يونس الحرفوش عدوه الألد . وانصرف بجيشه إلى بغداد لمحاربة شاه العجم . فكان ذلك سبباً في تعاظم نفوذ فخر الدين وانسلاط رواق محبته وانشاع ولايته إلى ما وراء طرابلس وماحقها حتى انطاكية (١٦٢٧) ثم لا وتدمر (١٦٣٠) شرقاً . وتعاظم أمر ابنه الأمير علي في الجنوب ولا سيما بعد ظفرو سنة ١٦٣٢ بالأمير أحمد قاصوه أحد كبار أمراء العرب في بلاد صفد

﴿ نكبة بني معن الثالثة الكبرى ﴾ وكان الاقدار أبت على عبد آل معن الأكبر الاستمتاع طويلاً بثمرة جهاده المتواصل في سبيل المجد الذي أحرز منه في تلك الحقبة شأو الوزراء العظام . فبذ سنة ١٦٣٣ اخذ نجم سنده بالاقول . ذلك أن وشايات حساده ومزاحميه . بنت كجك احمد وزير دمشق على السمي بامر السلطان مراد إلى خضد شوكته . فزحف على لبنان بجيش كبير ومر على وادي التيم ضاقت فيها ونكب أهلها . فهب أصحابها الأمراء الشهابيون للدفاع عنها بمعاونة الأمير علي ابن فخر الدين وبعثوا بجيشه . واستقل الأمير المعني في هذه الوقعة قلتي حنفة — وفي رأي بعض المؤرخين أن كجك احمد قتل في هذه الحرب وهو غير صحيح . واتصل خبر هذه النكبة بالسلطان فأمر بإعلان بني معن عن بكرة أبيهم . فاجبر جعفر باشا من الاسكندرية بجيش عظيم . وانضوى تحت لوائه في بيروت آل سيفا وآل علم الدين ووافاه وزير دمشق بجيشه إلى صيدا . فانهزم المضيون من المدينتين واعتصموا بحصونهم . فجهد جعفر باشا في أرم وفتح قلعة المرقب . ووقع الأمير حسين ابن فخر الدين وصديقه الشيخ أبو نوفل الحازن في الأسر فأرسلهما إلى الصدر الأعظم في حلب . ثم فر أبو نوفل متكرراً وقتك وزير دمشق بالأمير يونس أخيه فخر الدين .

الا انه عجز عن احراك ابنه الامير ملحم وظل طليقاً . واصل لمسكه دماء الشوفيين وارزاقهم وولى على بلادهم الامير علم الدين النجى . ثم حاصر فخر الدين في قلعة شقيف تيرون فاغلت من يده واعتصم بقلعة جزين — وكانت غاية في المنعة . فتمكن الوزير بخيانة احد خدمة بني من من قها واستأسره مع اولاده واعوانه وفي مجملتهم الشيخ ابو نادر الخازن وعمه ومضى بهم الى دمشق حيث اطلق سبيل الشيخين الخازنين . اما فخر الدين واولاده فارسلوا الى الاسانة واعتذروا للسلطان مراد ففصا عنهم وانزلهم في ضيافته . واشهر الامير على علم الدين هذه القرصة للانتقام من المعينين وانصارهم فقتل بكبارهم وضبط املاكهم ولم ينج من نفعه الا الشيخان ابو نادر الخازن وابنه ابو نوفل وعدد قليل من انصار بني من . الا ان الخوازنة لم يامنوا غدره بهم فالتجسوا النجاة بالسفر الى توسكانا (١٦٣٥) حيث نزلوا في ضيافة ذوقها ثلاث سنين . على ان ذلك لم يكن كافياً لتسكين سورة غضبه فاغتال الامراء التوخيين في عيه وهو في ضيافتهم عملاً بقاعدة سادته للترك وفي مجملتهم ثلاثة اطفال اقترضت بهم سلالة بني توخ امراء القرب

على انه لم يكن يستب الامر لابن علم الدين في ولايته حتى نهض الامير ملحم المعنى للاخذ بشار عشيرته وقومه . واجتاح بلاد الشوف بجمع كبير من اعوانه الفيسيين . ونشبت بينه وبين عدوه في ارض المقريط بجوار مجدل معوش معركة هائلة اسفرت عن اندحار الجنية وفرار عبيدهم ابن علم الدين الى دمشق وقتل الجيش المماني الذي اتفذه كجك احمد لانجاده بعد ان قتل قائده شرقة . ثم استأثف الامير على علم الدين الكرة على ابن من بمعاونة جيش دمشق واستظهر على فرقة من رجاله اسكنه عجز بن القضاء على خوته وسلطوته . واستأثف كجك احمد بالسلطان مراد فكبر عيه عطش الامير ملحم بحمسه ولم ير وسيلة للانتقام منه الا بقتل عمه الامير فخر الدين واولاده الثلاثة . وكان تصدر الاعظم اتى ابن فخر الدين الرابع الامير حسين من حلب الى الاسانة فلم تتأمله قمة السلطان وتجا بنفسه . وعلى ذلك لم يبق من كبار آل من بعد مصرع فخر الدين الا ابنه هذا والامير ملحم ابن اخيه يونس

وفي عهد الامير فخر الدين غطم شان المسيحيين في الديار الشامية فشيّدوا المآبد ومارسوا القروض الدينية على غلام حربيهم وركبوا الخيل المبرجة ونصموا بسمائم يضاء وحملوا الاسلحة المجوهرة خلافاً لما كانوا عليه في عهد سلفائه . وراجت في البلاد

مناجر الأوربيين من البنادق وغيرهم وكثرت فيها رسالاتهم الدينية . وكان على قصر قائمته ونحوه جسده شجاعاً بأسلاً مقدماً ذا قس أية لا يلتوي لها عود وسياسياً محكماً جمع إلى الحلم وكرم الخلق القطة والدهاء والرصانة وذكاء القواد . وقد بلغ من بسطة الحياء واتساع النفوذ والسلطان ما لم يباهه وزير أو أمير في الديار الشامية فهو لذلك في اعتبار المؤرخين أعظم أمراء لبنان

عمر بنو علم الدين وبنو سيفاً لما قضي على الأمير فخر الدين عميد آل معن الأكبر وأعظم شأنهم في بلاد الشام خلا الجوارحهم وحسادهم من أمراء البلاد وحكامها وأمنوا على سلامتهم وسيادتهم فاشتمشوا وطابت قلوبهم . وكان الأمير علي علم الدين في مقدمة هؤلاء المزاحمين فوطد ساعته في البلاد وجار على انصار المغنيين ولا سيما على المشايخ الخوازنة حتى اضطر كبارهم أن يفروا من وجهه إلى توسكانا على نحو ما تقدم . واستعاد قاسم باشا سيفاً ولاية طرابلس (١٦٣٤) لكنه لم يلبث أن استولى على منعة الحكم حتى صدر له الأمر باللاحاق بجيش الدولة في المعجم فظاهر بالجنون واعتزل الولاية وتقدم الحكم مكانه ابن اخته الأمير علي بن محمد سيفاً فتنازعه الولاية خاله الثاني الأمير عساف وقهره . ثم عاد الأمير علي فقاتل خصمه هذا واستولى بمعاونة حسن آغا مدير خاله الأمير قاسم والأمير علي علم الدين على بلاد جيل وجبة الميطرة . وهب الحمادية لانجذاب الأمير عساف فاجتاح جبة الميطرة واضرم النار فيها وقتل بجماعة من بني المستراح . وأحاز المقدم زين الدين الصواف إلى جانب الأمير علي سيفاً فاستد ساعده وسطاً على زاوية طرابلس وهناك ظفر بجدوه وأمن في رجاله قتلًا وجرحاً وضم إلى طرابلس ولايتي جيل والبترون . وأوغل في الجور والبني فانتزع الباب الثاني الولاية منه (١٦٣٥) وعهد بها إلى مصطفى باشا النيشانجي فسلمه هذا ونحى له عن ولايتي جيل والبترون وألحق بهما الضنية وولى جماعة من ذويه على عكرك وحصن الأكراد وصافيتا أرضاء له . وعهد بولاية جبة بشري إلى الشيخ أبي كرم يعقوب الحدادي والشيخ أبي جبرائيل يوسف الأهدني . ثم سار مصطفى باشا لمحاربة شاه المعجم بعد أن عهد بمحافظة طرابلس إلى الأمير عساف سيفاً . فشق ذلك على الأمير علي وسطاً على أميون ومعه المقدم محمد ابن علي الصواف فقهرهما الأمير عساف في أرض عرقا واستولى على جيل واستمر

قتله من ابن أخيه وحليفه الأمير علي علم الدين في وقعة غناز ببلاد الحصن
 في نكبة الجنية ❀ لم يطل بين الأمير علي علم الدين ووزير دمشق عهد الوفاق
 فمرّ د عميد الجنية عليه (١٦٣٦) لكنه عجز عن مقاومة جيشه وجيوش الأمراء
 والحكام الذين شدوا أزره كالأمرين عساف سيف ومراد المني وحاكي سيف
 وبيروت ، وأهزم بعثر الجنية إلى كسروان فكسره القيسية في مرجاتا والمرج
 وطاردوه إلى النهر البارد وأعملوا السيف في رقاب الجنية على رغم انضمام الأمير علي
 سيف برجاله إليهم ثم استموا قتلهم منهم في جون عكار حيث سبوا نساءهم وغنموا ما
 كانوا يحملونه من متاع ومال . ورأى ابن علم الدين أن يصلح بين صديقه الأمير علي
 سيف وسفالة الأمير عساف فيجتمعان على الأخذ بنصره فخاب مساء ولم يحل اتفاقهما
 دون اجتياح الأمير ملحم المني لبلاد الشوف على أثر نكبة الجنية هذه وانزاعه
 الولاية من ابن علم الدين

❀ نكبة بني سيف الثالثة وعود الولاية إلى آل علم الدين ❀ وتلا ذلك جنوح
 التيشانجي وإلى طرابلس إلى المصيان وفشله على أثر خذل آل سيف له ونكبتهم هذه
 ومحاولة استرجاع الحرافشة ولاية بعلبك وإخفاقهم وإضاع وزير دمشق برجالهم وأقتال
 الحمادية وأمراء رأس نحاس وعود الأميرين تلي وعساف سيف إلى تنازع الحكم
 ، السيادة وأنحياز الأمير ملحم المني إلى جانب الأمير عساف واستظهارهما على الأمير علي
 وصديقه ابن علم الدين (١٦٣٧) . ثم أسندت ولاية طرابلس إلى شاهين باشا وهاله
 ما منيت البلاد به من البلاء على أيدي بني سيف فأراد أن يرجعها من شرهم ويأمن على
 مملكته من غدرهم فشق الأمير عسافاً وأوقع بكبار عشيرته على أيدي أمراء رأس نحاس
 وبني حمادة . ولم ينج منهم إلا الأمير علي فاستجار بصديقه ابن علم الدين . وكان
 عميد الجنية هذا استعاد ولاية الشوف وألقى الرعب في قلوب القيسية وأنصارهم ولاسيما
 الحوازنة والحبيشية . غير أن قلب الأمير ملحم المني عليه أثر انهزامه من وجه
 السلطان مراد إلى بلاد بشاره (١٦٣٨) وانزاعه الولاية منه هدأ روعهم وأسكن
 ثأر خوفهم فترة قصيرة انقضت باسترجاع عميد الجنية زمام الحكم وطرده القيسية من
 الشوف واسترجاعه ولاية بيروت . وفي السنة التالية تولى طرابلس محمد باشا الأرنؤوطي
 فعصاه بنو سيف والشيخ أبو كرم الحدّثي فاتفق منهم شر انتقام
 أما السلطان إبراهيم الذي خلف أخاه مراد الرابع (١٦٤٠ — ١٦٤٨) قد

سجن لدى نبوته العرش الى مسألة الدول تخاف قاله وقضى عليه سوء الطالع بان يفني سني ملكه في حروب دموية هائلة ختمت بقتل اهلية ذهبت بناجه واودت بحياته ونودي بابنه السلطان محمد الرابع خلفاً له (١)

تنبأ بني سيفا الرابعة وعظم ولاية طرابلس في عهد هذا السلطان ظلت الامور في الديار الشامية جارية في مجراها المعتاد . في اول سنة من خلافة اجتاحت عسكر الارناؤوطي والي طرابلس حية بشري لالقاء القبض على حاكمها الشيخ ابي كرم وأمن فيها قتلاً وسلباً حتى اضطر هذا الى اقتداء بلاده بنفسه فلم له وعرض الوالي عليه الاسلام فاقبى وامانه شرمية . ثم دسها الامير سلمان عميد آل سيفا في عكار . ورايه أمر الحمادية فاجتاح بلادهم واخفاها بولاية الامير علي علم الدين فلم يخص له الامير وانتفض عليه لانتزاعه ولايتي بيروت وصيداء منه . وخلفه حسن باشا (١٦٤٤) فاقتنى اثره في البقي والجور حتى اضطر كثيرون الى هجر اوطانهم . ثم استعاد الارناؤوطي الولاية (١٦٤٦) وأوغل في الظلم فازداد البلاء شدة واحكاماً واشتد نيار المهاجرة . فاستبدله السلطان محمد باشا الصوفي . وبعد فترة قصيرة أعاده اليها (١٦٤٧) فماد الى شر مما كان عليه من اتضيق على الرعية وسد منافذ الهاء في وجهها

وهكذا كان عهد السلطان ابراهيم حافلاً بالمكاره والارزاء كعهد سلفه . وخلفه ابنه السلطان محمد الرابع (١٦٤٨ - ١٦٨٧) فطال حكمه غير انه كان سيئ الطالع نظيره . جلس على سرير السلطة وهو حديث السن والدولة في حرب مع البنادقة . فانقضت السلطة فيها الى زمرة من اصحاب المطامع والاهواء افسدت على الدولة امورها حتى تناولت انحاءها فوضي عظمة كانت عوناً للبنادقة على الظفر بها وحشرها في مأزق شديد الخطر عليها لم يجد لها مخرجاً منه الا تدخل مأزقاً أشد منه خطراً على كيانها . فكانت حرب البنادقة مقدمة لحروب أخرى أعظم شأناً وأكثر هولاً

(١) حارب السلطان ابراهيم التوزاق . ثم شهر الحرب على البنادقة سنة ١٦٤٥ لاسرهم شقيقه وعمته في طريقها الى الحج (وفي رواية ان شقيقه هذا عاش في اوربا ومات راهباً) وانزع منهم جزيرة كريت ما عدا عاصمتها كينيا . فشنوا النار على بلاد اليونان واضرموا النار في معظم مدنها . فهاج ذلك سخطه وقرر بهلاك النصارى في سلطنته فقال منفي الامتانة دون تنفيذ الامر . وامن البنادقة في قنوطهم وحصر اسطولهم مضيق الدردنيا وتحفرت روسيا للاستيلاء على رومانيا واضرم الانكشارية نار الثورة في الامتانة فحاولوا اغتيال السلطان زعمائهم فاحيطوا مساء وخلفه سنة ١٦٤٨

خاضت الدولة العثمانية غمارها ضد النمسا وفرنسا وكريت وبولونيا وروسيا وقاست فيها من الشدائد والأهوال ما أنهك قواها فخرجت منها مقطعة الأوصال ممزقة الأحشاء. وما زاد الخطب تنافاً أن الجيش انتفض عليها وعصفت ريح الفتن في أعقابها. ولولا مبادرة أقطابها وعلمائها إلى خلع السلطان والمناداة بأخيه السلطان سليمان الثاني لجل الخشب وذهب باستقلالها (١)

✽ خاتمة حياة الأمير ملحم المعني وأخبار بني البشعلاني ✽ وفي عهد السلطان محمد الرابع نال الأديار السورية النصيب الأوفر من البلايا والأرزاء التي توالى على السلطنة. ذلك أنه لما أفضى إليه تاج آل عثمان كانت البلاد رازحة تحت عبء المظالم والنكبات التي أرطأ بها نواب الدولة وعمالها ولا سيما محمد باشا الأرنؤوطي وإلى طرابلس إذ كان قد أمعن في البني والاعتصاف إلى أقصى حد استطاع. وخلفه عمر باشا (١٦٤٩) فاسترضى آل البشعلاني. وآنس من الأمير ملحم المعني جنوحاً إلى عصيان بشير باشا وزير دمشق فتوسم في ذلك خيراً وتحنى له من ولاية البترون طمعاً في أنحيازه إلى جانبهِ. فكان ذلك باعثاً على اجتماع بشير باشا والأمير علي علم الدين على مداومة ابن معن في وادي التيم غير أنه دحر جيشهما وكفى البلاد شرهما. ثم أعاداً عليه السكرة فاستظفر عليهما بمطوعة صديقيه الأميرين قاسم وحسين الشهابيين وكال

(١) استفتح السلطان محمد الرابع ملكاً بحارية البنادقة فاستظفروا عليه سنة ١٦٤٩ وسقطوا أسطوله وحجروا الأمثانة فاستحكمت حقائق الضيق فيها. وازدادت الأزمة شدة لاستعمال امر الإنكشارية قطع الكورلي باشا المصدر الأعظم ثورتهم. ثم أبرى لنزالة البنادقة فكسر الأسطول البندقي في المردنييل سنة ١٦٥٦ وانتزع منهم ما كانوا احتلوه من الجزر والنبور العثمانية. وثلاً ذلك خروج ترانسلفانيا والنلاج من طاعة السلطان سنة ١٦٥٨. وحربه مع فرنسا والنمسا سنة ١٦٦٣. واستيلاء فرنسا على تونس والجزائر. وثورة أهل كريت بتعريض هذه الدولة وظفر السلطان بهم بعد حروب طويلة أفضت إلى تخلي البنادقة له من هذه الجزيرة سنة ١٦٧٠. وعنده في السنة التالية مع لويس الرابع عشر معاهدة اعترفت بمقتضاها لفرنسا بحق حماية الأماكن المقدسة في الساطنة العثمانية كما كانت الحال في عهد السلطان سليمان الأول. ثم حارب السلطان بولونيا وقهرها سنة ١٦٧٢ وطأت الحرب بينه وبين ملكها سويسكي البطل البولوني انشيد إلى سنة ١٦٧٦. ثم صادت الدولة إلى بحارة النمسا سنة ١٦٨١ وكسرتها وحاصرت فيها سنة ١٦٨٣ فزدها عهد بولونيا عنها ونكث بموشرها. وأبوت علي. أر ذلك بين النمسا وبولونيا وروسيا والبنديقية الخاتمة أفضت الشجرة التي اجتمعت هذه الدول عملاً بأحكامها على بحارة الدولة قد دعت بلادها ومزقت جيوشها تمزيقاً سنة ١٦٨٥ حتى أفضت الحال إلى ثورة داخلية عظيمة ففتت بخلع السلطان

لها ضربة أشد من الأولى ومطارد ابن علم الدين إلى أبواب دمشق . ولم تطل بعد ذلك أيام الأمير ملحم فاندركته منته سنة ١٦٥٨ وهو في صيداء . فكان ذلك النصر الذي أحرزه على أعدائه خاتمة جبهة لحية المجيدة التي كانت حافزة بالمسارم والمائر الغراء . ففقد القيسية به أكبر محمد تولى أمرهم بعد عمه نحر الدين . وعدة النصاري موته خسارة كبيرة عليهم لأنه اقتفى أثر عمه في جبهتهم والأخذ بنصرهم . وهذا ما حمل زعماءهم على إخلاص الود له وتأييد ولديه الأميرين أحمد وقرقاس في ما توالى عليهما من الحوادث . وقد امتاز بعده وحلمه وشدة غيرته على وطنه وعنايته بشؤون البلاد والعباد إلى درجة ليس بعدها زيادة لمستزيد .

وفي أثناء ذلك فقد زمام الحكم في طرابلس حسن باشا (١٦٥١) . وفي عهده انحط شأن بني البشعلاني وانزع مزاجهم منهم ولاية جبة بشري . ثم استعادوا نفوذهم في السنة الثانية إذا ترجع الأوناووطي باشا ولاية طرابلس وعهد في تدبير شؤونها إلى عبيد بن رزق كما كان أولا وفيه بشيخ المشايخ وعزفت له الموسيقى السلطانية . فاستكر المسلمون ذلك — وهو لا يدين بدينهم . واتهموه زوراً بأنه تآمر مع الأمير المعني على التواني . فزجه الأوناووطي في السجن مع ذويه وأنصاره . ثم تولى طرابلس قره حسن باشا فاطلق سبيله وأكرمه على الانتظار بالإسلام لئلا يضطر إلى قطع رأسه عملاً بأمر الباب العالي . ثم ألزم أموال جبة واللاذقية وأقام هناك فأنصرفت أذهان حساده عنه ولا سيما بعد أن لاذ أقاربه بحمي ابن ممن . وخلف قره حسن محمد باشا الكوبرلي (١٦٥٤) فولى الحمادية على جبة بشري وأقر بنية الحكم على أقطاعهم . وعقبه علي أغا الطباخ (١٦٥٦) وفي عهده ألزم الأمير فارس ابن مراد الممعي أموال الحية ثم تولى بلاد عكار (١٦٥٨) . ثم خلفه قبلان باشا وأراد معاقبة الحمادية لوفرة ما أقرقوه من الموقوفات ففروا من وجهه واجتاح وادي علبات ودمر دورهم وقراهم .

﴿ نكبة القيسية الكبرى ﴾ أما دمشق فقد زمام الحكم فيها بعد بشير باشا محمد بانا الكوبرلي (١٦٦٠) . ولم يكد يظن أرض الشام حتى تحفز للاستقام من الشهابيين لتسكيلهم بجيش دمشق على عهد سلفه . فرحف بجيش عظيم على وادي التيم ومعه الولاة والحكام وفي جهتهم الأمير علي علم الدين . ففر الشهابيون إلى قهز في كسروان . ودك الكوبرلي دورهم في حاصبيا ورأشيا وولى على بلادهم الأميرين محمد ومنصور ابني الأمير علي علم الدين . وابن الأميران أحمد وقرقاس ابني الأمير أحمد

المعني أنجاد الوزير وتأهباً لمقاومته فاضطر أن يقطع منها بئقعة جيشه . واستقل غيخته من هذه الغزوة فاستنزف أموال جماعة من الزعماء الذين قاتلوا تحت رايته . وحاول الأمير اسمعيل الكردي الأفلات من الشرك الذي نصب له فحقق وأما الوزير سر ميتة . يمثل ذلك كان يكافئ نواب الدولة التركية انصارهم ومخزيهم على بذلهم ارواحهم وأموالهم في تأييدهم ونصرهم على مزاحمتهم واعدائهم . ثم استأف هذا الطاغية مطاردة الشهابيين وانصارهم المضيئين والخوازنة والحمادية . ورأى هؤلاء أن لا قبل لهم بمقاومته بمن التف حولهم من القيسية ففرقوا في البلاد وانقطعت أخبار زعمائهم . فخلا الوزير عن البلاد بعد أن قاست من وطأته الشدائد وعهد بولاية الشوف إلى الشيخ سر حال العماد ونصب عمالاً من اعوانه على بقية الاقتضاعات وفرض عليهم خراجاً سنوياً . ثم ظهر الشهابيون والمضيئون في كسروان فعاد الوزير إلى مطاردتهم وعات حيث فيها ونكب أهلها واضرم النار في دور زعماء القيسيين واقتل أملاكهم . ولما أصيبه الحيل في القضاء عليهم عمد إلى القدر جرياً على القاعدة المتبعة في الدولة . فاستقدم بحيلة تركية على بد والي صيدا الأميرين أحمد وقرقاس المضيئين إلى عين مزبود (١٦٦٢) وهو بينهما باحسن الأمال . وادركا الخطر بعد فوات الفرصة وهما بالفرار فاطبق عليهما الجند وأصابتهما ضربة مقتلة من الأمير قرقاس فخر صريعاً . أما شقيقه فتمكن من الهرب بعد أن أصيب بجرح بالغ في عنقه وقتل معظم رجاله ونوارى عن الانظار وظل محتفياً زهاء سنتين متواليتين حتى عزل والي صيدا (١٦٦٤) فظهر من عجباً وانتقم من العينة شر انتقام فقاتلهم سنتين متواليتين وأهلك قوامهم واستم تهنه منهم في وفاة بيروت سنة ١٦٦٧ . فانهزم عهدهم ابن علم الدين بجماعة منهم إلى دمشق وأسترجع الأمير المعني ولاية الشوف وألحق بها بلاد الغرب والمثن وكسروان . واستعاد صديقه الأميران منصور وعلي الشهابيان ولايتهما على وادي النيم . وتلا ذلك تنازع الحرافشة على ولاية جبلبك (١٦٧١) إلى أن أفضت إلى أحدهم الأمير علي . ومحاولة الشهابيين الانتقام من بني حيمور أصحاب البقاع لا شراً لهم في الحرب التي أصاب الكورلي قارها عليهم في وادي النيم .

في استفعال امر الحمادية ونكبتهم الكبرى . وفي السنة التالية تولى طرابلس حسن باشا قاعاد الحمادية إلى انقطاعهم بخاروا وبغوا . فانزع الحكم منهم وقتلهم عند إقنا (١٦٧٥) . فاجتاحوا بلاد جيل والبرزون واستفحل أمرهم . فاجتمع ولاية سورية

على مقاتلتهم . وحل توسط الأمير أحمد المعني دون مطاردة الولاة لهم . وأطلق والي طرابلس رعايتهم بعد أن دفع إليه الأمير ما كان متأخراً عليهم من الأموال . ثم انهمز الحادية فرصة انصراف هذا الوالي إلى قتال التركان واضرموا نارا للفن في بلاد جيل واليزون (١٦٧٦) . فتناف الكثرة عليهم واضرم النيران في قرى غلات . قاروا لانفسهم بتدمير قرى كثيرة في بلاد جيل . فاضطر خلفه إلى استرخائهم واخذ اليهم انقطاعهم فآخذوا إلى السكون

وتلا ذلك تنازع الأمير قورس شهاب والأمير عمر الحرفوش ولاية بعلبك . وأوقع ابن الحرفوش بخصمه في نجا . فارعه الأمير أحمد المعني صديق الشهابين على دفع دية وتركه وشأنه . فاستأثر بالحكم ولم يبق له من قبله من بلاد جيل حيث أدركته نيته (١٦٨٣) . وخيل إلى الشهابين أنه لم يجد في استطاعة الحرافشة النزاع ولاية بعلبك منهم فغلب فأنقضت بعد فترة قصيرة إلى الأمير شديد ابن أخي الأمير عمر الحرفوش

أما الحادية فلم يطلب لهم العيش في السكون الذي لزموه على أن يرد والي طرابلس انقطاعهم اليهم . فآخذوا عزله في السنة التالية وسبب لإخراج رعايتهم من قلعتها غوة (١٦٨٤) . وخرجوا في عودهم إلى حجة الشيطرة على عشقوت وحاولوا انتهبها . فقامهم أهلها وقتل منهم أحد عشر نفساً^(١) . فانتقم منهم والي طرابلس الجديد على يد الأمير أحمد المعني إذ احتاج جيش الأمير حجة الشيطرة ومنه رجس أخوانة والحيشية وذلك دورهم وفراهم هناك بعد أن اضرم النار فيها . فآخذوا بالفرار إلى بعلبك وعرض الوالي على ابن من أخاق بلادهم بولاية قاني . ثم آخذوا بجمعوا شملهم وجاءروا بالعصيان تقسح وكيل الوالي ثودتهم وأملت اثني عشر عميداً من أنصارهم على الخازوق (١٦٨٦) . ولم يكن ذلك كافياً لسكبج جماعهم قسروا الأمير شديد الحرفوش على الوالي في قتال نشب بينهما . فانتقم الوالي منهم واضرم النار في أربعين قرية من قراهم

(١) كان بين الحادية وآل ثابت وعشقوت صناديق يرجع عددها إلى سنة ١٦٥٠ إذ فلك ضارباً جنبه القدم غلظ الحفروني حاكم حجة بتري (أبو ثابت رجل من بني السراخ انشاء الحادية على أن اختصاصه مع أخيه شحون الذي قتل في هذا الخصام وفر خالط هذا إلى عشقوت ولستوطنها . ولهذا كان بنو ثابت أول من هب مقاومة الحادية عند محاولتهم نصب وطهم الجديد . ولم يلبث الحادية أن أعتوا بطش الامراء المعني حتى اضنوا الكثرة على عشقوت انتقاماً من أهلها لما نالهم بسببهم من الضار ومن اجتياح هذا الأمير بلادهم

وفي جهنم العاقورة . فدموه على عين الباطية في صرود تورين وهددوا عسكره واقتفوا
آره الى جيل واحرقوا قاصتها

وعقب حوادث الحمادية نكبة آل البشعلازي . ذلك ان حسان آل البشعلازي
ومزاحمهم هاجموا رؤا من معانم شائن عيديم الشيخ يونس فوشوا به الى
ارسلان باشا المطرجي والي طرابلس فزجه في السجن مع نويه وأنصاره . فتظاهر
بالاسلام ليأمن صدره وانس منه غفلة ففرّ بهله الى بلاد من

ما نبوا السلطان سليمان الثاني عرش أجداده (١٦٨٧ - ١٦٩١) رأى ان
يأخذ الانكشارية باللين فمردوا عليه وسادت الفوضى عاصمة السلطنة . فتعين اغداه
الدولة هذه الفرصة لاجتياح املاكها فاحتل البنادقة نخور اليوفان وساحل دلماسيا
(١٦٨٧) واستولى النمساويون على قسم من سوريا (١٦٨٨ - ١٦٨٩) ثم استردها
منهم مصطفى باشا الكورني الصدر الاعظم (١٦٩٠) بعد ان اصبح شؤون الدولة
وبث في الجيش روح النظام . واستمال اتصرى الى الدولة واخصم أهل المورة
وخلف هذا السلطان اخوه احمد الثاني (١٦٩١ - ١٦٩٥) ولم يكد يستقر
على العرش حتى عاجلت المية الصدر الاعظم وهو قائم على محاربة النمسا . فكانت وفاته
نكبة على الدولة حيث اخذت ما كان تم لها على يده من السطوة والنفوذ . واستولى
البنادقة على جزيرة صافس (١٦٩٤) ومات هذا السلطان سنة ١٦٩٥ وخلفه السلطان
مصطفى الثاني

اما سورية فلم تكن في عهد هذين السلطانين اسعد حظاً منها في عهد من تقدمها
من السلاطين . فظلت الفتن والكبات تتوالى وتعاقب في انحلتها على نحو ما كانت
عليه سابقاً . ذلك ان استظهار الحمادية على والي طرابلس الاخير شدد عزائمهم . ومما
زادهم قحة عجارات الوالي الذي خلفه لهم واقرارهم على اقطاعهم (١٦٩١) وجاء
موت الشيخ ابي قاصود فياض الخلزن واخيه الشيخ ابي نادر في سنة واحدة
موطداً لسلطتهم وممزرأاً لسلطتهم . فبادوا الى سابق عهدهم من ارهاق الناس بالمظالم
واوغلوا في النهب والسلب . وتلا ذلك انتقال ولاية طرابلس الى علي باشا القيس
(١٦٩٢) فلقمهم على اقطاعهم . ثم ائزع الحكم منهم وعهد به الى عمال من بني
دندش والحساني والشاعر وبحلوس . واستعان بالامير احمد المعني عليهم فكسر

الأمير شوكنم على أيدي الخوازنة وطاردتهم هؤلاء إلى بعلبك فقتل حاكمها بجماعة منهم وأجهز العمال الذين تولوا إقطاعاتهم على جماعة آخرين منهم بين قهقر ولاسا . وحسن ما فعله اللقيس بهم في عيني السلطان فرقاه إلى منصب الصدارة في خاتمة حكم المنين وأقرض سلالهم ثم تولى طرابلس إرسال باشا المطرجي (١٦٩٣) فعرض إقطاعات الخادمية على الأمير أحمد المعني ليأمن شرهم فأبى . وولى المطرجي عليها أمراء الأكراد وبني الشاعر وعهد إليهم بالقضاء على سطوتهم ففشلوا وكسروهم الخادمية شر كسرة في عين قنبل بالمقنوج . فخلق الوالي على الأمير المعني وأتهمه بمخالفة الخادمية عليه واستصدر أمراً من السلطان بيزله من ولايته وتقيد عدوه الأمير موسى علم الدين زمامها . وحشد جيشاً عظيماً في وطلا عرموش بالبقاع لمقاتلته . وعلم الأمير المعني أن بين الذين انضموا إلى جيش الدولة جماعة من أنصاره القيسية كالخوازنة بقيادة عمدهم الشيخ حسن والنكدي والبيدي وبعض البرزكية . فوجد أن مقاومته لهذا الجيش الضخم — وقد تحلى عنه معظم حلفائه — ضرب من الخيانة والجهل . فأثر الاعتزال في وادي التيم ريثما يستجمع شتات قواته . ثم زحف على الشوف ومعه الأميران نجم وبشير الشهابيان فاستجار ابن علم الدين بمصطفى باشا والي صيدا فخلقه لأن الأمير المعني حفره من غدوه وتمكن ابن معن بالمال وحسن السياسة من اكتساب ثقته وحمه على استصدار إرادة سلطانية بأقراره على ولايته

جلس السلطان مصطفى الثاني على العرش (١٦٩٥ — ١٧٠٣) وأعداء الدولة يحفزون للأجهاز عليها . وكان شجاعاً متعظاً بالفتح . حارب بولونيا وقاد الجيش بنفسه فقهرها . وحارب بطرس الأكبر قيصر الروس . وأطاع بما ابتكره من أساليب الدفاع وقوف الجيش الروسي أمام أزوف سنة كاملة قبل أن يفتحها القيصر (١٦٩٦) . ونحزرت به النساء فقهرها أولاً . ثم كسره في حرب البشناق (١٦٩٧) فاستجمع قواته وأجلاها عنها . واسترد جزيرة صقلية من البنادقة . غير أن معاهدة الصلح التي أبرمها مع أعدائه على يد لويس الرابع عشر (١٦٩٩) أخرجت معظم الولايات البلقانية من يده . ثم أنصرف إلى تنظيم شؤون الدولة فعرض له الانكشاف وقاموا بقتل عظيمه أضحت إلى خاتمه والمناذاة بإخيه السلطان أحمد الثالث أما سوريا فكان عهد هذا السلطان شؤماً عليها إذ حل بها الفحط والنزلاء في

السنة الثانية لذلك (١٦٩٦) . وجاءت مضاعفة أموال الشكايف ضئلاً على أبلة فاضل
عدد كبير من أهلها إلى هجر أوطانهم . وتلا ذلك فتك المطرحي وأبي طرابلس بالشيخ
يونس البشملائي الشهير ^(١) وانقراض سلالة بني معن وانضمام الولاية إلى الشهابيين
﴿ ولاية الأمراء الشهابيين ﴾ . انقضت سنة ١٦٩٧ وبها انقضت حكم الأمراء
المعنيين على أثر موت الأمير أحمد المعني . فكانت مدة ولايتهم ٥٧٨ سنة (١١١٨ —
١٦٩٧) . فاحتل أتابك البلاد خافاً له ابن أخيه الأمير بشير حسين الشهابي أمير
راشيا ^(٢) . غير أن الأمير حسين بن نضر الدين المعني كان لا يزال في الاستقامة فتمكن
من حل السلطان على تولية الأمير حيدر بن الأمير موسى شهاب لأنه حفيد الأمير
أحمد المعني لبنته . وكان الأمير حيدر لا يزال قاصراً فخلد الأمير بشير زمام الولاية
ربما يبلغ الأمير القاصر سن الرشد . وبذلك تم انتقال ولاية آل معن إلى الشهابيين
(١٦٩٧ — ١٨٢٢)

﴿ ولاية الأمير بشير الأول الشهابي ﴾ استولى الأمير بشير حسين الشهابي على
منصة الإمارة والفضي ضاربة أمثاتها في الديار الشامية . قاعدًا لفضائل عدته . ولم
يكف باستتب له الأمر حتى عصفت ريح الثورة في بلاد بشاردة فقمها وكمال للشيخ
مشرف البني مضرم نارها ضربة شديدة قاضية . فدخل له قتلان باشا وأبي حيداء شن
هذه البلاد مكافأة له . فولى عليها الأمير منصور بن أخيه وتاب عنه في تدبير شؤنها
عمر بن أبي زيد أن أبا ضاهر العمر الشهير لأنه كان قيسياً من أنصاره . وعلى أثر ذلك

(١) قال ده لاروك في تاريخ رحته إلى لبنان ما يؤخذ منه أن الشيخ يونس كان
عظيم النفوذ واسع الثروة ذكي الفؤاد حكيمًا . وكان له عند وزراء الدولة وأتباعها من سمو
المكانة ما أوغر سدير حمده خضداً عليه . فسجد له ملاك باشا المطرحي مع ذويه عملاً بأشارتهم .
ثم تظاهر بالاستسلام لينجو من شرهم . فاتفق مفتي الاستانة أن إسلامه باطل لأنه أكرم عليه
أكراماً . فجاهر بغيرانته وغرلى برية طرابلس خمس سنوات إلى أن تولى طرابلس قتلان باشا
المطرحي (١٦٩٥) فله عسك ساد الشيخ يونس على زوجه في السجن مستعين متولين حارل
فيها مراراً أن يشبهه إلى الإسلام فأنفق وإمانته عن الخازن (١٦٩٧) . ومن ذلك الحين
انحط شأن آل البشملائي ولم يحل ثواب ملك فرنسا وقناصله عليهم دون ما حل بهم على أثر
هذه النكبة من البؤس والشقاء .

(٢) أن انتقال ولاية آل معن إلى الشهابيين إنما كان باعتبار أهل البلاد أنفسهم ملا
بمادات البشملايين وتقاليدهم للورثة من أزمنة عريقة في القسمة . وفي ذلك ما يكفي للدلالة
على أن استقلال لبنان في شؤونه الداخلية يرتقي إلى أقدم أزمنة التاريخ

بجهر الحادية بالصيان واسترسلوا في البقي والفجور . فردَّ والي طرابلس كيدهم الى نحرهم وألحق أقطاعهم بولاية الأمير الشهابي لينجو من شرهم . وبذلك امتدت ولايته من حشد الى حدود طرابلس . وكان نواز ابن شهاب كواحد الحسد والحقد في صدر عدوه الأمير موسى علم الدين فذرع بما كان بين خصمه هذا وبين والي طرابلس وصيداء الاخوين من الولاء المتبادل لاوشاية بهم في السلطان بأنهم تأمروا على خلق طاعته . وأتم الاستانة في هذه المهمة شهاب مسعود (١٧٠٠) . وتعاظم نفوذ الأمير الشهابي وأبسط رواق مجده وسلطانه . ولولا اشتداد وطأة الاوثة وحلول الضحك والشفاه في تلك السنة لجاءت فاتحة ولاية الشهابيين خاتمة حسنة جميلة لتاريخ القرن السابع عشر في الديار الشاميه

سورية في القرن التاسع عشر

بزغت شمس القرن الثامن عشر وزوابع الحروب تهب على السلطنة العثمانية . فجلس السلطان احمد الثالث على العرش (١٧٠٣ - ١٧٣٠) وهو مزعزع الاركان . وقد طالت خلافته ولكنها كانت حافلة بالكوارث والنكبات . استهل ملكه بالضرب على أيدي الانكشارية . ثم حارب الروس وملكهم يومئذ بطرس الأكبر . وتلا ذلك حربه مع بولونيا وقهره لها وانحياز النمسا الى جانبها واستغفارها على الترك . وحارب الفرس وقهرهم ثم مال الى مسلمتهم . نشق ذلك على الانكشارية وغلغول ونادوا باخيه السلطان محمود (١)

ولايه الأمير حيدر الشهابي  أما في سورية فكان عهد هذا السلطان حافلاً

(١) كان بطرس الأكبر أحد قيصر روسيا وغيره في تحزبه تركياً كما يستجلى من وصيته الشهيرة . وقد حارب السلطان احمد الثالث وتمكك بعد حروب هائلة من حصره ومشوقته كاترينا في مدينة أزوف (١٧١٠) وألزمه على الصبح (١٧١١) . ثم استؤثفت الحرب بينهما وحققها بمساعدة ادرنة (١٧١٣) فقامت في مصلحت تركياً . ثم فقت عليها المصلحة المشتركة بإبرام حلفه بمحقة بحقوق بولونيا والنمسا جانب على ان انتصار الثانية الاولى له حربها مع الترك وقهرها ثم (١٧١٦ - ١٧١٧) . فنتاق بذلك عرشه وملكته . ثم اتفق مع القيصر على انتقام جانب من مملكة الفرس فكان هذا الاتفاق قاضياً على عرشه اذ حارب الفرس وغلبوا على أمرهم (١٧٢٥) . ثم اجتاحت املاك الدولة فاحجم السلطان عن محاربتهم . وهاج احجامه غضب الانكشارية فغلغول . ومن حسنه انه أنشأ في الاستانة داراً للطباعة . وكان ذلك أول عهد الدولة بهذا الفن

بالتن والحروب كهد سلفه . انتهى في فتح ملكه حكم الأمير بشير الشهابي (١٧٠٧) واستوى على منصة الأمارة الأمير حيدر شهاب . فاستهل حكمه بفتح بلاد بشارة وكسر شركة مشايخها بني علي الصغير وآل منكر وعصب . وولى عليها الشيخ محمود أبهر موش (١٧٠٨) فلم يفتل هذا الشيخ ذمامه وانحاز إلى عدوه الأمير يوسف علم الدين وحارباه فانهظرا عليه بمعاونة آل ارسلان وبشير باشا والي صيدا وطاردها إلى غزير . وهناك دارت وحى الحرب وأحرز ابن شهاب وأخضار القيسية نصر آميناً . إلا أنه أحجم عن نصب النجبة لشكر عددهم وآثر الاعتصام في مظارة عذرائيل بالهرمل . وأتهم الخيشيون بني الحازن بمخالفة الأمير حيدر . وصادف فصل هؤلاء من هذه التهمة هوى من نفس الأمير يوسف علم الدين فنكب بني حياش وأضرم النار في غزير استغفأ منهم .

نكة النجبة الكبرى واقضاء ولاية آل علم الدين . عاد الأمير اليميني إلى بلاد الشوف وعمره في تدير شؤونها إلى أبي هر موش . فجار وبني واشتدت وطأته على القيسية . فقلق الأمير حيدر على مصير قومه وهب من غباء لا تقاذه من شره وطفائه . وتمكن بمعاونة من شد أزره من أمراء القيسية ومشايعهم كالهميين والعمادية والموازنة من حشد جيش كبير والتكى بالنجبة في يوم عين دارا الشوير وأنزاع الولاية منهم . وقتل في هذه الحرب ثلاثة من آل علم الدين . ووقع ثلاثة آخرون في الأسر وهم الأمراء يوسف ومنصور واحد . فقطع الأمير الشهابي رؤوسهم . وبذلك انقرضت سلالتهم وانقضى حكمهم . وكافأ من خاض في جانبه غمار هذه الحرب من الهميين وآل عماد والماضي ونكد وتلحوق وعبد الملك وجنبلاط فاقطعهم الاقطاعات . ووقع حسن بلاء الهميين فيها ولا سيما الأمير عبد الله من قومه وضاً جميلاً . فبانع في أكرامهم وصاهرهم وأقرهم على انقيادهم . وصرف آخر سبي حكمه بالنفقة والعتاء . ووافقه منته سنة ١٧٣٢ وله تسعة أولاد ^(١) . وكان عادلاً حليماً كريماً . وفي عهده ارتفع شأن القيسية وذل الحزب اليميني . وقد أوضى البلاد وأحرز ثقة الدولة

تبوأ السلطان محمود الأول عرش بني عثمان (١٧٣٠ — ١٧٥٤) والسلطة في العاصمة لرعي الثوار . فتك به وانصرف إلى حرب الغر من قهرهم (١٧٣٢ — ١٧٣٦) .

(١) ورق الأمير حيدر أولاده من أربع زوجات : الأمراء : لعبد واحد ومنصور ويونس وتلي ومعين وعبد من بني غمر للشقيقتين . وعمر من والدة الأمير مراد الهمي . وبشير من بنت الأمير حسين التميمي عميد التميميين

وتحرشت به روسيا والنمسا فخاربهما وصالحهما على شروط في مصلحته (١٧٣٩)
ولكن بآمن بجانبها حلف فرنسا واسوج . ومات حلف الله . وخلفه السلطان
عثمان الثالث . وقد أحرز السلطان محمود بحمله وعدله وحبه للمساواة بين رعاياه مكانة
رفيعة قل من أحرزها بين سلاطين آل عثمان . وفي عهده اتسع نطاق السلطنة
وعظم شأنها

على ان عدل السلطان محمود لم يمدد دائرة عاصمته . فكانت صداه في الولايات
ولا سيما في سورية ضعيفاً خافاً لم يقو على شق حجب الضياع المتصبة . وظل عمال
الدولة يسومون الناس خسفاً وظلماً ويمذرون بذور الفتن بين احزابها المتنافرة . وقد
افضى الحكم في ولاياتها الثلاثة دمشق وصيداء وطرابلس الى ولاية وطنيين من آل
العظم (١٧٣٤) وعظمت شوكتهم وانبسط رواق سلطانهم . أما اماره لبنان فكانت
قد آلت بموافقة سعد الدين باشا العظم واني صيداء (١٧٣٢) الى الامير ملحم بن الامير
حيدر شهاب . فافتتح حكمه بفتح ثورة بني علي الصغير اصحاب بلاد بشاره . فتهيه الناس
وتماطلت سلطوته . غير ان ولاءه لسعد الدين كان قذى في عيني اخيه اسعد باشا والي
دمشق . فاضمر له الشر ولكنه عجز عن كسر شوكته . ونفقه الامير الى ابواب دمشق
(١٧٤١) . وازداد بن العظم حقاً على الامير ولا سيما بعد تنكيه بني منكر وبني صعب
اصحاب جبل عامل (١٧٤٣) تأييداً لسلطة صديقه سعد الدين باشا . واتهم فرصة
الحاق بمليك بولاية الامير الشهابي (١٧٤٧) لانغراء الامير حيدر الحرفوش صاحب
هذا الاقطاع بمحاربته . ففضى ابن شهاب على امنيته بكسره لهذا في قب الياس شر
كسرة وعهد الى اخيه الامير حسين في ولاية بمليك . وابتدأ الاقدار الامانة
اسعد باشا العظم ف ضرب السلطان غقه قبل ان يتاح له ان ينتقم من الامير ملحم .
وخلفه في ولاية دمشق ابن عمه سليمان باشا العظم والي طرابلس . ثم خلت ولاية صيداء
بموت سعد الدين باشا خلفه عثمان باشا انغسل واراد اذلال الامير الشهابي ففشل .
أما سليمان باشا فسلم الامير ملحم وتودد اليه . فشد ازره في استئصال الانكشارية
والقضاء على من نصرهم من بني قلدحوق ونيد الملك (١٧٤٨) . على ان ولاء الامير
لا بن العظم لم يحل دون رجوع هذا الى القاعدة التي اتفقها ولاية سورية في معاملة امراء
لبنان ولا سيما بعد ان ألحقت بيروت بولاية ابن شهاب ووفق الى قمع ثورة بني منكر
بمعاظم شأنه . فكان ذلك باعثاً على تحرش سليمان باشا به والتحفز لمحاربته (١٧٥٠) .

وتلا ذلك خروج التكدية عن طاعة الامير فكري شوكتهم (١٧٥١) . غير انه لم يكذب طمئناً على امارته حتى ألم بصحته انحراف شغلته عن شؤون البلاد (١٧٥٤) . فأكبره اعيانها على التخلي عن الولاية الى اخويه الاميرين احمد ومنصور . وصرف آخر سني حياته في بيروت حيث اقطع الى درس الفقه . وأدركته منيته سنة ١٧١١ وله ستة اولاد (١) . وكانت حلماً مقدماً . ويذكر المؤرخون له من المآثر الجليلة ما رفعه الى مصاف أكبر امراء لبنان

اما السلطان عثمان الثالث (١٧٥٤ — ١٧٥٧) فلم يقع في عهده ما هو خليق بالاعتبار سوى ما اشتهر به من الخروج متكرراً بتفقد احوال رعيته بنفسه وهو ما يعد من مفاخر الخلفاء الاولين

وخلفه السلطان مصطفى الثالث (١٧٥٧ — ١٧٧٤) . فامتاز بحيله الى الاصلاح . وتم له بعض ما كان يحني النفس به منه على يد وزيره الحازم راعب باشا المصلح الشهير . غير ان موت هذا الوزير وحرب الدولة مع الروس حالاً دون بلوغه الحد الاقصى من امانيه . وقضت ثورة اليونان وخروج علي بك المصري عن طاعته على البقية الباقية من آماله . ومات والحرب على أشدها بين الدولة وروسيا وخلفه عبد الحميد الاول (٢)

﴿ تنازع الشهابيين الولاية ﴾ أول ما يسرعني الابصار من الحوادث التي اقع بها عهد هذين السلطانين في الديار الشامية فتنة نشبت في دمشق وكان لدرور لبنان شأن فيها اذ نصرروا الانكشارية على التباقول وقاسى الوالي الشدائد في اعادة الامن اثنى خصابه (١٧٥٥ — ١٧٥٧) . وتخلل هذه الثورة انتفاض الامير قاسم عمر علي

(١) كان تلاميز علم ستة اولاد . محمد ويوسف وقاسم وميد احمد واخندي وحيدر . وكان الشيخ سعد الحوري صالح مديراً لولايته . وعند دنواجه اقامه وصياً عليهم فكان ذلك باعثاً على تمزيق مركز الشيخ سعد وارتفاع شأن بيته من بعده

(٢) كان راعب باشا أول من فكر في انشاء خابج عظيم بين البوسفور ودجلة . فحال موته دون انشاء راعب انبيل لزعزعة كارثة الثانية فيصير روسيا الشبيبة بالدولة وشهرها الحرب عليها واستيلاء الروس على ولايتها البلقانية وانقرق أسطولهم للأسطول النماني بعد ان اضرم النار فيه خدعة (١٧٧٠) . وتلا ذلك احتلال الروس لبلاد القرم واتسار الجيش النماني على نهر الدانوب (١٧٧٢) وخروج الامير علي المصري عن الدولة باغواء الروس واكساحه جنوب سورية بمأونة طاهر نسر والي عكاك الشير وغير ذلك من الشكبات التي نهضت عيش السلطان مصطفى الى انفس الاخير من حياته

عمه الأميرين أحمد ومنصور الوائعين الشهابيين وقامره مع أخيهما الأمير ملحم الوائى السابق على خلفهما وانقسام ولايتهما . وابتكر الأمير قاسم إلى الاستانة في هذه المهمة (١٧٥٨) . فقتل أولاً واضطر إلى مصالحة عمه . ثم ظفر بالولاية واستولى على بيروت لحاجة . كمرض له أعيان البلاد وأعادوا الولاية إلى صاحبها فارضياء باقتناع عين دارا وأزوجه أحدهما الأمير منصور بنته (١٧٦٢) . فاختلأ إلى السكون . وتوفي في غزير سنة ١٦٦٧ وولده الأميران حسن وبشير « الكبير » في سن الطفولة

في الزبكية والجنبلية وولاية الأمير يوسف . كان خروج الأمير قاسم من ساحة النضال فأنهت عهد النزاع بين الوائعين الأخوة وانقسام اللبنانيين إلى حزبين كبيرين : حزب الزبكية وعميده الأمير أحمد . وحزب الجنبلية وعميده الأمير منصور . ثم اتفق الحزبان على شد أزر الأمير منصور ولا سيما بعد أن رجحت كفته على أثر تحرير محمد باشا العظم وائي صيداء له . واضطر الأمير أحمد أن يخلى لأخيه عن حقه في الولاية . فتركه وشأنه ولكنه انضم من صديقه الأمير يوسف ابن الأمير ملحم أخيه ومن محاربيه النكدية . فافضى ذلك إلى تأمر الشيخ سعد الحوري والشيخ علي جنبلاط زعيم الزبكية والشيخ كليب النكدى على خلع الأمير منصور وتولية الأمير يوسف مكانه . وأيدهم والى دمشق وابنه والى طرابلس وفخراء ولاية جيل (١٧٦٣) . وأحسن الأمير يوسف سياسة البلاد وانجد وائي دمشق في حصار قلعة مانور (١٧٦٤) فأبلى بلاءً حسناً . وغازته الحمادية أصحاب جيل والبرون ولاية أقطاعهم فاستظهر عليهم في أميون على رغم مساعدة والى طرابلس لهم (١٧٦٦) . فعاظم أمره وكثر انتصاره . أما الأمير منصور فحاول إيقاع الشقاق بين زعماء الزبكية اضغاثاً لشأنهم فخاب مسعاه وكادت ولاية للشوف تقضي إلى الأمير يوسف لولا أنه لم يبادر إلى استرضائهم .

﴿ الأمير علي المصري والشيخ ضاهر العمر ﴾ وفي خلال ذلك وقعت بين الشيخ ضاهر العمر وائي عكا وبين عثمان باشا الصادق وائي دمشق نفرة أفضت إلى القتال . وانحاز الأمير منصور شهاب إلى جانب عثمان باشا فقوي ساعده . وكانت ابن المر يدرك مقاصد الأمير علي المصري ومطامعه فاستأله إليه . ومدّه هذا بعشرة آلاف مقاتل بقيادة أسماعيل بك . فتفقر عثمان باشا بجيشه إلى المزريب . غير أن القائد المصري أحجم عن مقاتله حرمة للدولة . وكان علي بك المصري خير كفالة محمد بك أبي الذهب عند اكتساحه الحجاز بتحريض روسيا وطرده الشريف منها . فعهد إليه

في قيادة حملة جديدة سيرها على سورية . فحقق ظفريه وأوقع بجيش عثمان باشا ودخل دمشق ظافراً (١٧٧٠) فانهمز الوالي إلى حمص وتخلّف الأمير منصور عنه بتخريض ضاهر العمر . على أن اشفاق إسماعيل بك من تبعه الخروج على الدولة لأدى بابي الذهب إلى الجلاء بجيشه فجاءه عن دمشق . فعاد عثمان باشا إليها وفي أثره الأمير يوسف شهاب . الذي كان انحاز إلى جانبه . فخلع عليه وسار الأمير إلى الصوف . فالتقى الأعيان حول له واكرهوا الأمير منصور على التخلي له عن الولاية . فدانت البلاد لسلطان الأمير يوسف من طرابلس إلى حدود صيدا . واستوطن بخصمه هذا بيروت إلى سنة ١٧٧٤ حيث وافته منيته وله أربعة أولاد : موسى ومراد وحمود وحيدر

﴿ مصر الأمير علي المصري ﴾ أما أبو الذهب فحاول أن يلقي تبعه جلالة عن سورية على ضاهر العمر ففشل . وأراد الأمير علي معاقبته على خيائته . فخاربه وظفر بمناوئة إسماعيل بك بدربر مصر . ففر الأمير علي إلى عكا بجيشه آلاف من فرسان الفر . وفي أثناء ذلك انتهز عثمان باشا فرصة جلاء الجيش المصري عن سورية للانتقام من ضاهر العمر وزحف على عكا بجيش عظيم ومعه ابنه درويش باشا وإلى صيدا . والأمير يوسف شهاب . فكسره ابن العمر على بحيرة الحولة كدرة عظيمة . ثم تولى دمشق عثمان باشا المصري فالتقى أثر سانه في مناجزة الشيخ ضاهر ومعاداته . وحاول بمناوئة الأمير يوسف انتزاع ولاية صيدا منه ففجز دونها . وحال الأسطول الروسي دون سقوطها في يده واحتل رجل الأسطول مدينة بيروت ثم جلوا عنها بعد أن انزلوا الويلات بأهلها وبمن كان ينزلها من الشهابيين (١٧٧١) . واستقر انتصار ابن العمر علي بك المصري لثأر من أبي الذهب وزحف بجيشه لاسترجاع إمارة مصر منه . فالتقاء هذا عند غزة وكسره وأسر . وهو مصاب بجرح بالغ فعالجه إلى أن أوشك جرحه أن يبرأ فدرس له السم فيه ومات (١٧٧٢)

﴿ ظهور الجزائر ﴾ وفي خلال ذلك ظهر أحمد الجزائر في مصر وهو بشاقي الأصل . جاءها في ولاية الأمير علي المصري وارتكب من الموفقات ما حزن الحكومة على تعاقبه . ففر إلى لبنان (١٧٧٠) وأقام في بيروت بأمر الأمير يوسف شهاب . واشترك في حصار صيدا فأبلى فيه بلاء حسناً . وعهد إليه الأمير في حماية بيروت من اغارات الروس بثلاثة مقاتل من المتطوعة . فانصرف إلى تحصينها وحشدته نفسه بالاستقلال في ولايتها فهاجر بالمصيان على حين غفلة . فحصره الأمير فيها وشد الأسطول

الروسي أزره حتى سدا عليه منافذ التجارة وأكرهاه على الجلاء عنها بشقاعة مناهر العمر بعد أن ثبت على الحصار أربعة أشهر . واستعاد الأمير يوسف ولايته عليها ﴿ مصير أبي الذهب ونكبة آل العمر ﴾ أما ضاهر العمر فتحا الباب العالي عنه وولاه على صيدا وعكا وحيفا ويافا والرملة ونابلس وصفد (١٧٧٢) . فافاد إليه أهل البلاد وتعاظمت دولته . فهاج ذلك كوامن الحمد والحسد في صدر أبي الذهب أمير مصر . فاكسح فلسطين بعد استئذان الباب العالي (١٧٧٤) . وفتح يافا عنوة وحاصرها يومئذ الشيخ كريم ابن ضاهر العمر . فاضطر هذا بازاء خذل الأمير يوسف له أن يلوذ بالفرار . ونكب الفلاح المصري أهل البلاد وقتك برهبان دبر ايليا النبي ودكته من أساسه . غير أنه لم يمهنا بفتح هذا فادركته منبته فجاء وهو يصرخ : « ردوا عني هذا الشيخ المفسوس » . ويريد به ايليا النبي . وخيل إلى ضاهر العمر أنه أمن بموت هذا الطاغية على حياته وسلطته . خاب فآله إذ اتفق قائد الاسطول العثماني ومحمد باشا العظيم والي القدس على محاصرة في عكا . فجزع على مصيره وعمد إلى الفرار ولا سيما بعد تحي أعماله عنه وخذل احمد الدنكزلي والي صيدا له فابتدره أحد المفاربة وهو خارج من المدينة برحاصة أودت بحياته . وصلت عكا لقائد الاسطول فقتل بآبه سعيد وأنعم السلطان على ابنيه عثمان واحمد بمنصين في الدولة تعويضا عن قتل أبيهما وأخيها . ونهب أمير البحر ما كان في خزان آل العمر من التحف النادرة والاموال الوفيرة بمد قتل ابراهيم الصباغ قيم بينهم

﴿ تعاضل شأن الأمير يوسف ﴾ وفي أثناء ذلك كان الأمير يوسف منصرفا إلى توطيد سلطته في لبنان فكسب المحامية وطردهم من اقطاعهم (١٧٧١) . ثم انتقم من أنصارهم بني رعد أصحاب القضية . وأراد عثمان باشا والي دمشق انتزاع البقاع من أخيه الأمير سيد احمد فاقبرى له الأمير يوسف وكبره بمحاولة ضاهر العمر (١٧٧٣) ووطد مركز أخيه . فكان جزاؤه منه أنه خرج عليه يريد الاستقلال بالولاية من دونه . واعتصم في قلعة قب الياس . وذكر عثمان باشا ما ناله من مذلة الانكسار بسببه فنصر الأمير يوسف عليه وأكرهاه هو وصديقه الأمير منصور شهاب صاحب راشيا على التماس العقو صاغرين

أما السلطان عبد الحميد الاول (١٧٧٤ — ١٧٨٩) جلس على العرش والفيصرة كثرنا العظيمة نحفز لاسترجاع ما اغتصبه سلفه من أملاك روسيا . فخار بها وغلب

على أمره واضطر أن يعترف لها بامتلاك بلاد القرم . ثم استؤنفت الحرب بينهما (١٧٨٨) وأخذت فرنسا إلى جانب روسيا ومات السلطان قبل أن تضع الحرب أوزارها (١)

❦ نهاية الجزاء ❧ أن مات السلطان عبد الحميد الأول من الإزها والاورامال الديار الشامية . ثم مات خير حبيب . ثم في مفتتح خلافة زعيم ولاية صيداء أحمد باشا الجزاء والسفاح الشر (١٧٧٩ — ١٨٠٤) وأمير لبنان يوسف بن يوسف شهاب ولم يكن قد انقضى الحول السادس على عصابه له . فسي الأمير لعلته وتمكن بالمال من حمل حسن باشا المقوض الشهابي في سورية على دفع ماطنه عنه وفراده في ولاية لبنان بالرغم مما قام في سبيله من العقبات أراضواض انقلابه عليه وفي طلبهم أخواه الأمير سيد أحمد والأمير قندي . غير أن الجزاء غافل المقوض الشهابي واستولى على بيروت . فأكبره هذا على الجلاء عنها . وتعرض الكدية لجنده وهم يائسون منها إلى صيداء فاشفق الأمير يوسف أن ينتقم الجزاء منه واسترضاه ببلغ من المال . وسأول أن يجعه من البلاد فعارضه اللعيون وأفضت معارضتهم إلى انتقام جنود الجزاء منهم ونهبهم غلال اللبنانيين في البقاع استيفاء للمال وانكسار السمين وانصارهم في عدة معارك . وتلا ذلك تنازع الأميرين الأسيون منصور ومحمد الشهابيين ولاية راشيا واستجار أولهما بمحمد باشا المظفر والي دمشق فقتله واقتاله . ولم يقتل الأمير محمد ما كان يحضر الأمير يوسف لأخيه هذا من الشر فقدر بابنيه موسى وأحمد فقتل الأول وسمل عيني الثاني وهو آمن على سلامته من الأمير يوسف . ثم دم والي طرابلس أخا الأمير يوسف في أحد فاستطاع هذا عليه ومطرده إلى اميون حيث أستم الأمير يوسف قتمه منه ووطد سلطته في حاتيك الديار

❦ مصر آل المر ❧ وفي خلال ذلك كان الجزاء يسمى ثوليد دعائم سلطانه . وأوجس شراً من الشيخ علي بن ضاهر المر فقتل بابنيه . ثم اغتال محمد باشا المظفر الشيخ علي نفسه ليوم الدولة أنه لم يكن مماكاً لايه . وبطل هذا الشيخ انحط شأن آل

(١) مئت الدولة الشهابية في عهد هذا السلطان بخسارة حسنة اذ قهرتها روسيا في الحرب التي نشبت بينهما على إثر تقدمها ببولونيا مع النمسا وروسيا (١٧٧٢) وانزعجت منها بلاد القرم . ثم قدومت باعتراف السلطان لها بحق حيازة الارضوكس في سلطته لاثارة بغواظهم عليه . وأردفت ذلك باطلاق حايثها على بلاد انكارج . فشر السلطان الحرب عليها وشدت النمسا ازردها . ومات وهو قائم على محاربة البولونيين

الأمير . وباغت بهم الحطة والمذلة الى ان تلتبس أخت الشيخ علي وبنته الرزق بالنسول والاستعطاء . وكان نظير آية بطلاً كبيراً أوقر خاء منواراً . ثم اكتسح الجزائر بلاد إشاره وأعمل السيف في رقاب أصحابها بني علي الصغير وبني منكر وبني صعب ولجأ من سلم منهم الى عكار وبذلك دانت البلاد لسلطانه

✽ الأمير يوسف ومزاحمه ✽ أما الأمير يوسف فلم يأمن شرّ مزاحميه الى أجل بعيد . فأنبرى اخواه سيد احمد واقندي لتزعمته الولاية (١٧٧٨) واضلح بازاء ما رآه من تضيد البزبكة والجنبلاتية لها وسي الجرار الى توسيع شقة الخلاف بينه وبينهما الى التنازل لها عن الولاية والاكتفاء بولاية غزير . ثم ولاء محمد باشا العظام على البغاي واصحابها يومئذ الامراء الصميمون فانزعجوا منهم بمعاونة امراء حاصبيا ورشا الجزائر بالمال فخلع عليه ونصره على اخوته فاختلوا الى الكون . ثم عادا فقبلا له ظهر المعجن على أر أرجائه خصمهما الشيخ كليب التكندي من منفاه وقامرا سرا مع التكندي والجنبلاتية على خله . فضح الشيخ كليب أمرهم وأطبق رجال الأمير يوسف فجأة على الثامرين وقبضوا على الأمير اقندي وساقوه الى دار الحكم فقتله اخوه يده . وفر الأمير سيد احمد الى المختاره فاجتمع عليه آل جنبلات وآل عماد وانصارهم . واستجار الأمير يوسف بالجرار فعدّ بجيش كبير وانضوى تحت رايته اخواه الاميران حسن وقاسم وآل تلحوق وعبد الملك ودارت رحى الحرب في عثوث فاحرز الأمير يوسف نصراً ميذاً وشدّ محمد بلنا المظلم أزر العاصي فاستولى على وادي التيم . غزا الأمير يوسف حمل عليهما حملة صادقة وكال لآخيه في معركة المغينة الشهيرة ضربة شديدة كان لها صدى عظيم في البلاد السورية

✽ مظالم الجزائر ودسائسه ✽ لما رأى للجزائر ان سياسة التفريق التي جرى عليها في معاملة الأمير يوسف واخوته آتاكه مأربه منهم عند الى اخلاقه مع خاله الأمير اسماعيل . فالحق بولايتهم مرجع عبون وهي في عهدة خاله هذا . فشق ذلك عليه واستمال الجزائر بالمال بتخريش الشيخ قاسم جنبلات فهد اليه في ولاية لبنان . ولما كان هذا الأمير من وادي التيم والعادة ألا يتولى إمارة لبنان من كلن غربياً عنه اشركه معه في الولاية ابن أخته الأمير سيد احمد ومدّها بمساكره لطرد الأمير يوسف من البلاد . فالتفأها الشيخ سعد أخوري بجيش الأمير يوسف عند جزين وكسرهما . وغزا بنو علي الصغير بلاد بشاره شداً لأزر الأمير يوسف وطردهوا عمال الجزائر منها .

فعمم الأمر على الجزائر ومدّ الوالين الجديدين بجيش ضخم فاكسحوا البلاد وطاردوا عدوهم إلى بسكتنا . فلوغل في الفرار إلى بلاد عكار وبعث فاسترضى الجزائر بمبلغ طائل من المال نخلع عليه ومدّه بمساكره . فاقبض الأمير على دير القدر فجاءه وقبض على خاله الأمير اسمعين وزجه في السجن حيث قضى نحبه (١٧٨٦) . ثم اغتال خاله الثاني الأمير بشير نجم وسمل عيني أخيه الأمير سيد احمد (١٧٨٧) ونكب انصارهم ولا سيما الجبلاطية نكبة عظيمة واستعاد هيته وسطوته . فاشفق الجزائر أن يتزفر صفة تنيه في دمشق حيث كان قد عهد إليه في ولايتها ليقلب له قلب المعين . فعمد إلى قليم اطافره احتياطاً فطوارىء واوعز إلى نائبه في عكا ، بالفلك سيني على الصغير فصدع بالأمر . وكان ذلك ضربة شديدة على الأمير لأن هؤلاء المشايخ كانوا من خيرة انصاره . وجاه موت مدبره الشيخ سعد الخوري اثر مرض اعتراه وهو معتقل في قاعة دمشق (١٧٨٦) ضربة عظيمة اشد من الاولى . وحدث أن المماليك نادوا على الجزائر وحصروه في عكا . وشد الأمير يوسف اذرم فحقق في الجزائر عليه وحرّض الأمير علي الشهابي على التألاية الأمير اسماعيل منه ومدّه بكتابة من جنده . فشد الأمير يوسف جيشه بقيادة الأمير بشير قاسم الشهابي « الكبير » والشيخ قاسم جبلاط ومعها زعماء المماليك واهرز في الحرب التي دارت رحاها بينه وبين عدوّه في البقاع نصراً عظيماً . ثم استأف الأمير علي القتال بجيش جديد مدّه به الجزائر فمقد النصر لآلونه . ونكب الجبلاطية عهد الأمير يوسف واخذوا يدسون له الدسائس . فستمت نفسه النزاع وصحت عزيمته على اغتيال الحكم

في ولاية الأمير بشير الشهابي الكبير . فخلّى الأمير يوسف عن الولاية وليس بين الأمراء من هو أصلح طاً من الأمير بشير قاسم . وكانت أهل البلاد يحبونه ويتوسمون فيه الخير والجزار معجبين بسأله وجرأته . فقلده زمام الولاية على الشوف وكبروان وهو يرجو أن يكون أكثر اتّيحاداً له من سلفه . واوعز إليه بطرد الأمير يوسف من البلاد - والهدف قريب بخلي سلفه هذا له عن الولاية بمحض اختياره وليس بينهما ما يقضي عليه بالإمامة إليه - فطارده مكرهاً إلى لحفد وهو يتفادى من الحاق الأذى به . ثم ارغمه الجزائر على التشديد في مطاردته وانعيده بفرقة من جيشه . فكان ذلك قاتحة العداء بين الأميرين . وشد الحمادية ومشايخ حبة بشري اذرم الأمير يوسف فاستظهر على خصمه . ثم حمل عليه الأمير بشير حملة صادقة ودحره

فأنهزم إلى أهدن . وتألّبت عليه عساكر الجزائر من كل صوب ، فأمعن في الفرار إلى بعلبك وتصدى له صاحبها الأمير جيهجاه الحرفوش فتلدده منها ، واتفق واليسا دمشق وطرابلس على تقليده ولاية حيل (١٧٨٩) . فحال مرض الجزائر والأمير بشير له دون توليد سلطته فيها واضطر أن يفر إلى حوران .

أما السلطان سليم الثالث فقبوا العرش (١٧٨٩ — ١٨٠٧) والحرب ناشئة بين الدولة وعدوتها روسيا والنمسا . فحول تنظيم الجيش وبت روح النخوة فيه . فقتل واكتسحت الجيوش الروسية والنمساوية أملاك الدولة في البلقان وأكرهتها على توقيع عهدي صلح (١٧٩١ و ١٧٩٢) بحفظين في مجمل شروطهما بحقوقهما . وفي عهد هذا السلطان استولى نابليون بونابرت على مصر (١٧٩٨) واكتسح فلسطين (١٧٩٩) . إلا أنه عجز عن فتح عكا لتفشي الطاعون في عسكره فعاد إلى مصر (١٨٠٠) . وفي السنة التالية جلت عساكره عن وادي النيل ^(١) . وكان السلطان

(١) حمل نابليون على مصر وحجته الظاهرة القضاء على سلطة المماليك ومحرضه الحقيقي أن يسيطر على زمام الزراعة لاستخراج كنوزها الطبيعية والآثارية واتخاذها قاعدة لأعماله الحربية في الشرق الأدنى . وقد جاءت أعمال قلعة المنية التي استعصمها المصريون على مصر بمهمة العطاء الذين نسجوا على منوالها فيما حد سبيل النهوض بهذه البلاد وتحطيم يوده . والأمير بها في مضمار الرقي الأدبي والمادي شوطاً بعيداً لا نظير له في تاريخ الشرق . أما الفتح الحربي فكان دون هذا المنع الأدنى العظيم قائمة وشأناً . ذلك أن نابليون حل على مصر وأوروبا على وشك النهوض لميزيق البرقع الكثيف الذي حجب به نور الشمس عن جرداء . فلم يكذب في على سطوة المماليك في معركة الأهرام الشهيرة التي خاطب فيها جيشه بكلمات الماثورة : « من أعلى هذه الأهرام أرى سبعين قرناً تسبح فمناكم » . حتى انتهت له التكتلات وسهقت أسطوله في معركة أبي قير واثنتان الزها روسيا والفرنسا مع فلوله الصليبية على مجازته وحالت أساطيلهم دون اتصاله بفرنسا . وحشدت الدولة ميوشها في دمشق تحملاً فزحف على مصر . فرأى البطل الشكوريكي أن ياجلها بضرباً قاضية على أن تستكمل عدتها . وزحف على سوريا بقسم من جيشه فأكسح فلسطين وفوز الخيال كبير جيش دمشق عند جبل طابور . إلا أنه تغلغل على نابليون فتح عكا . فالتألم لأعداء عليهم من كل صوب ولا سيما أن الطاعون انتشر في جيشه فقتل راجعاً إلى القاهرة . وكان الجيش المصري وصل إليها بطريق زبدس ففبره وأسرفلهم ثم اضطر أن يعود إلى فرنسا فذهب في تبادت جيش مصر إلى الجزائر الكبير وقد هلك نصفه بالوبئة والحروب . فاستأنف هذا الحربي وبداش بالجيش النهائي وقهر المماليك فبانت البلاد له . فبعد أن صعدوا يسمى سليمان الحلبي اغتدله فتطرق النصف إلى الجيش ففرناوي وقد قوته المنوية فدام قائدهم بعد أن منيا بخساره جسيمة في ما تلا ذلك من المماليك التي خاضها غمارها ضد

شديد الإعجاب بنابليون ولذلك لما انتخب هذا القائد العظيم رئيساً للجمهورية الفرنسية لم يتردد السلطان في توقيع عهدة الصلح التي أبرمها معه (١٨٠١) وقضت بتوسيع امتيازات فرنسا في الساحلة الليبية واخليت عدوانتها الى صداقة وثيقة المرى . ففضبت روسيا وانكلترا لذلك وشهرتا الحرب على الدولة واقترحا الاسطول الانكليزي مضيق الدردنيل فاضطره الجنرال سيمتياني مندوب نابليون لدى السلطان بما بذله من الجهد في تحصين الاسنة الى رفع الحصار عنها والخروج الى البحر المتوسط (١٨٠٧) واجر الى الاسكندرية فاحتلها وعجز دون رشيد لوقوف محمد علي باشا في وجهه (١) . وانصرف السلطان الى اصلاح شؤون الدولة لاقلها من عزلها . وعنى خاصة بالجندية فوضع لها نظاماً مماثلاً للنظمة الاوربية توطئة لالغاء رجالات الانكشارية . فعارضه هؤلاء واضرموا نار الفتن في السلطة (١٨٠٥) وخلصوه بقتوى من شيخ الاسلام موقظ هذه الفتن (١٨٠٧) جاء فيها « ان السلطان الذي يجري على انظمة الافرنج وعاداتهم لا يصلح لذلك » وتودي بالسلطان مصطفى الرابع **﴿ خاتمة حياة الامير يوسف ﴾** كانت سورية في عهد السلطان سليم مرسحاً لافتن والحروب واحكاما يتفانون ويتعاضدون في تأييد الحكم وخذلانهم . وكانت فاتحة ملكه شوقاً على الامير يوسف حيث ظفر فيها برضى الجزائر (١٧٨٩) . فكان ما علقه على ذلك من الرجاء بالفوز سراًباً لامعاً . ذلك انه اتميز فرصة انصراف الامير بشير الى شؤون الحرافقة امحاب بملك لا نزاع الولاية منه (١٧٩٠) . فاحبط هذا مسعاه ورثا الجزائر بالمال فافروا في ولاية لبنان وزج الامير يوسف في السجن . وجار الامير بشير على انصاره قائم اعيان المتن على خلعه وبادوا بالامير حيدر بن ملحم شهاب وابن اخيه الامير قعدان وابيروا لقتاله . فكسروهم ووشى بالامير يوسف

الجيشين الانكليزي والاماني . والبحر القاه ان قد تسووا بغية الجيش على الاسطول الانكليزي المفرنسا واستمادت الدولة ولايتها عن مصر (١٨٠١)

(١) بشا محمد علي في مدينة قوله بمقوسية : خضوع في الجيش الشهابي الذي سارب نابليون في مصر واصل في معركة ابو قير بلاد حسنة فتم اخذ امره وقهر الانكشارية في القاهرة ونفى على سطوة خسرو بن علي : مياض (١٨٠٤) فخر فخر البرديسي وحسن بك الانلي وهم اكبر انتطاب المديك فافضت الولاية اليه واقره الباب العالي فيها (١٨٠٥) ثم حطوا نقله الى سلايك بالخرقاء الانكليز فعارضه علماء مصر . واجبر محمد علي على بنية المديك في جادة القلعة الشهيرة (١٨١١) وقرضهم ثمن ثمر مراحيض ومعارضيه ودانت البلاد اسطفاً

إلى الجزائر بأنه موقد نار هذه الثورة . وكان الجزائر في طريق الحج فامر قائمه في عكا بشتق الأمير يوسف ومديره الشيخ غندور الحوري . ثم بحث ينهاء عن شتقهما فتجاهل نوبه بإشارة ابن الكروج وقد أخذ فيهما الأمر . وقد حكم الأمير يوسف ٢٧ سنة صرفها في مقارعة الخطوب ومعالجة عبر البحر وعظاته . ومع أنه أحرز من الخطوة وعظم الشأن شأراً الأمراء العظام فإنه لم يبلغ ثأراً سعيدي الطالع منهم . وكان مسيحياً كما يؤخذ من المكاتبات التي دارت بينه وبين البابا ييوس السادس في شأن البطريرك يوسف اسطفان .

الأمير بشير وأبناء الأمير يوسف ✽ وأثار قتلى الأمير يوسف سخط المتدين على الأمير بشير فازدادوا هياجاً . وغضب الجزائر على ابن الكروج وشتقه . فاشتق الأمير بشير أن يلحقه به وتظاهر بالحزن على شقيقه . فجازت جثته على الجزائر ونصره على الثوار . ونشبت بينه وبينهم في صحراء الشويحات معركة شديدة أسفرت عن اندحارهم ولكنهم ثبتوا على مقاومته ومحاربتة إلى السنة التالية (١٧٩١) . كل ذلك وزمام الحكم في يد الأمير حيدر والأمير قسدان والثوار يؤيدونها . وشعر الجزائر بجزءه عن أكرام اللبنانيين على الأقباد إلى الأمير بشير فأخرجه مع أخيه الأمير حسن من لبنان وأمر الأميرين الوالدين في منصبهما أرضاء لأعيان البلاد . فعظم شأنهما وتخلى لهما خليل باشا العظم حاكم طرابلس عن ولاية جبل . ثم عهد فيها إلى أبناء الأمير يوسف (١٧٩٢) فأحسنوا سياستها واستال مديروهم جرجس باز بحذقه وحكمته أعيان البلاد اليهم فعظم شأنهم . وفي أثناء ذلك كانت نفوذ الأميرين الوالدين أخذاً في التقلص فتنازلا لهم بموافقة الجزائر عن الولاية ثلاث نضحي إلى الأمير بشير عدوهم الألد (١٧٩٣) . فقم الأمير عليهم وأضرهم محازبه وعلى الأخص الدميون والجنبلية نار الثورة في المتن والشوف فضعها أبناء الأمير يوسف بمحاولة عساكر الجزائر ونفي الأمير بشير إلى الناصرة . ثم لم أنصاره منهم واستجمعوا قواتهم فنهزموا إلى الجزائر وأطاحه إلى الولاية ومعه بكيتية من الجند فطرد أبناء الأمير يوسف من الشوف وبطن بانصارهم في شر العبادية قدامت البلاد لسلطانه . ثم عاد الجزائر فاعتقله في عكا وخلع على أعدائه الأمراء (١٧٩٤) فانزلوا بانصاره البويات وصبوا جام قمتهم على الجنبلية والمادية فتأدى هؤلاء بالثورة وشد أزرهم الأمير عباس شهاب ولكنهم فشلوا واستم الجزائر والأمراء نقمتهم منهم . ثم قوي حزب الأمير بشير

الانكليزي أحسن وقع فعاهد الأمير على كف أذى الجزار عنه . غير أن الجزار
أصر على إسناد الولاية إلى أولاد الأمير يوسف خاف وصول الصدر الأعظم بمشيئه
إليه . فاستبقى حينئذ أذا استبأه الأمير . وعمر بالهدايا النفيسة فأنصر عليه بولاية لبنان
لأنه لم يبق له من أولاد الأمير يوسف غير يوسف . فأنصر عليه في مؤتمرها
كما كان الحال في جميع الميادين . ولما رأى الجزار أن يوسف ناصر الصدر الأعظم وحاول
بمعاونة البريكية وأنصارهم كسر شوكة الأمير . فصدى له بعد الله بأشياء العظم ونصر
الأمير عليه . فتغلب لقشله هذا وخضع على أبناء الأمير يوسف وعزز جيشهم بعشرة
آلاف مقاتل . فبئس الأمير بشير من التراجع ولا سيما أنه استبعد اللعين وغيرهم من
أعيان البلاد فخذلوه ولأذ بالفرار واستتب الأمر لأعدائه . ثم أقبل على غزة برفقة
صديقه الأميرال سيث والصدر الأعظم فيها فرحب الصدر به وعرض عليه أن يذهب
بقسم من جيشه لاسترجاع ولايته والاستقام من الجزار فإلى حذرأ من الفشل وأبحر
إلى قبرص ثم إلى مصر وهو يرجو أن يعود إلى سورية في معية الصدر الأعظم فخاب
رجاؤه لأن الجزرال كبير كان قد كسر الصدر الأعظم كسرة عظيمة وتقهقر هذا بقول
جيشه إلى يافا . فعاد الأمير على الأسطول الانكليزي إلى لبنان وأعصم بمحمن عكار
وحدث في ذلك الحين أن أبناء الأمير يوسف جاروا على اللبنانيين وأثقلوا كواهلهم
بالضرائب أشباعاً لمطامع الجزار فثار الكثيرون عليهم وغادوا بالأمير بشير وتأهبوا لامراء
وأنصارهم للقتال فوفق أعيان البلاد بين الفريقين على أن يتولى أبناء الأمير يوسف
بلاد جبيل والأمير بشير بقية البلاد . غير أن هذا الصلح جاء مبتسراً بإزاء دسائس
الجزار ومعارضة جرجس بلز فاقروه سيف الأمير بشير في معركة الشوفات حيث
قتل على جيشها وأكرم الجزار على الأذعان لمشيئة اللبنانيين صاغراً . وكان ذلك
خاتمة حوادث القرن الثامن عشر في المدير السورية

سورية في القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين

دخل القرن التاسع عشر وسورة الاضطراب في سورية على أشدها . وأظهر عوامل التفريق الميعة القارضة التي تجلت فيها تمام بدت بآتم مظاهرها في لبنان حيث كان الانقسام قد ضل في الشعب اللبناني فعل النار في الخشب . فكان فرقا واحزابا لا رابط لها ولا صلة بين اجزائها الممتدة المتباينة الاصله المنفعة الذاتية التي تضعف في جنبها المصلحة المشتركة وتكون عرفة لتفكك والتلاتي لأول حادث يطرأ عليها . كل ذلك والسلطة في الجيل لمن كان من امرائه أو فر ثروة وأقوى شكيمة من سواء فبستوى رجال الدولة بماله فيركون اليه ويتزاحون على خطب مودته أو يرهبهم بسلطونه فيتجنبون انضابه حتى اذا ما انسوا منه غفلة بطشوا به وظفروا بسفيهم منه .

انقضاء ولاية الجزائر ومصر ابنة الامير يوسف وبني باز . ذلك كانت شأن السوريين واللبنانيين مع من عهدت الدولة اليه من رجالها في سياسة بلادهم وصيانة ارواحهم وارزاقهم وهو ما نجده في تاريخ لبنان وسورية من الامثلة الحية المحسوسة ما لا يقع تحت حصر ولاسيا في عهد الجزائر السفاح الشرير

تذرع الجزائر بانقسام كتلة اللبنانيين وتعدد احزابهم في مفتتح هذا القرن لقضاء لبياته منهم . وقد تقدم لنا انه كان نافعا على الامير بشير يحيى الفرص للايقاع به . وكان الامير عباس شهاب طامعا في الولاية والمشايخ العمادية يؤيدونه . وقام من جهة اخرى الامير سلطان سيد احمد بتسبب نفسه ومن وراءه الشيخ بشير جنبلاط . فجاء بخذل الشهابيين وانصارهم لميديم الاكبر على هذا التحومهدا فاجزاد سيدل الانقسام منه . قايد الامير عباس وزحف هذا على دير القمر فاقبرى له الامير بشير ومعه ابناءه الامير يوسف والامير سلطان وهزموه الى المتن (١٨٠٢) وانحاز السميون وآل تلحوق الى الامير بشير فاستكتبهم على يد الشيخ بشير جنبلاط وثيقة بانهم لا يقبلون سواء اميرا عليهم . فاضطر للجزائر ان يبيده الى الولاية بعد ان اوعز اليه بهدم جونييه . وكان ذلك آخر العهد بحكم الجزائر فضى نجه سنة ١٨٠٤ . وانغصب ولاية عكا اسما عيل باشا فم يعرف الامير بشير به . ووقع ذلك وقعا حسنا لدى الباب العالي فالحق بولايته دمشق وصينا وطرا بلس وولى على عكا ابراهيم باشا ففتحها بمحاولة الامير رفك اسما عيل باشا . وتعجب هذا الوالي بما أبداه جرجس باز في

حصار هذا الحصن المنيح من أيّات البسالة واللعناء فخره منه . وهاج ذلك سحقاً
الأمير بشير على ابن باز ولا سيما أنه كان يحفظ القل له ولاخيه عبد الاحد لما أتياه
من الأثمان الثافية لمصلحته فأبداً ما بناء الأمير يومئذ فعمد العزيمة على التماس منيها
وقد ظفر يفتنه فانتشأها على يد الميزانية بقدر على الأميرين حسين وسعد الدين ابني
الأمير يوسف وسمل بينهما (١٨٠٦)

تودي بالسلطان مصطفى الرابع (١٨٠٦ - ١٨٠٨) وسطوة الانكشارية
آخذة في الازدياد وسرت روح الثورة له المين وهو قائم على محاربة الروس فاحتل
نظامه وكاد الروس بتهربونه ثم لم يلبوا على أمرهم أزاله حركات نابليون الصادقة في
بلاد البنداقين ويضطرهم الظاهر أن سبيله في شروط في مساعدة القتل (١٨٠٧) .
على أن ذلك لم يعمل دون ثماري المودة في ما يارهم ففتت السلطان بسلفه السلطان سليم
ومارح لهم جنته فازدادوا هياجاً ومنهم من يودي بالسلطان محمود الثاني .

طالت خلافة السلطان محمود (١٨٠٨ - ١٨٣٩) إلا أنها كانت حافلة بالانقلاب
والحروب . عهد في اصدارة إلى البرقدار أحد زعماء الثوار وهو برجوان يتمكن
بواسطه من تنظيم وجافات الانكشارية فمارضوه . وأراد اربابهم بقتله السلطان مصطفى
والقاء جنته ايهم فقتلوا واكرهوه على الاذنان لمشيهم . ثم انصرف إلى تأمين
السلطنة من الخارج فصالح الانكليز (١٨٠٩) . اما الروس فابوا الصلح وظلت الحرب
سجالاً بينه وبينهم إلى سنة ١٨١٢ إذ ما لود على شروط في صاعدته . غير أن هذا
الصلح افتقد صداقة نابليون لأن الروس قد عدا لمحاربته وارغموه على المطاوعة عن
بالادهم بعد أن هلك منهم حياهم . ثم تفر الروس على الدولة فتهربهم (١٨١٧)
وتلا ذلك ظهور الوهابيين في بلاد العربية فتهربهم محمد علي والي مصر وردهم إلى
طاعة الدولة على يد ابنه طوسن باشا وابراهيم باشا (١٨١١ - ١٨١٩) ثم قام
اليونان بثورتهم الشهيرة (١٨٢٢) التي انتهت إلى استعالمهم (١٨٣٠) بعد حروب
هائلة اشترك فيها محمد علي في جانب الدولة وفرنسا وروسيا وانكليزا في جانب
اليونان . ثم احتلت فرنسا جزائر الغرب . واستولى محمد علي على سورية والاناطول
(١٨٣١ - ١٨٣٣) . ومات السلطان محمود والأزمة السياسية التي نشأت عن المسألة
المصرية على أشدها وخلفه السلطان عبد الحميد^(١)

(١) كان تسميها الذي أبرمه السلطان محمد مع الروس وللا على الدولة لأنه عهد لروس

وقد توالى في عهد السلطان محمود على البلاد السمانية محن شديدة تضائل دونها ما منبت به في عهد سلفائه من الشكوب المنظمة . فبات الأمير بشير باي باقز ونكب أبناء الأمير يوسف . فاعلمت على سلامته وسلطانه الى حين اذ عهد اليه سليمان باشا والي صيدا يولايتي الشوف وكسروان على مدى الحياة (١٨٠٩) . ثم قتل هذا الوالي الى دمشق فانهز فرصة انصراف وزيرها يوسف باشا الكنج الى محاربة الوهابيين في حوران لانزاع الحكم منه . وبعد خفر بمراده بمعاونة الأمير بشير فصادقه وآمنه وولى ابنه الأمير قاسم على جيلادانية الثاني الأمير خليل على البقاع . ونصر الأمير دروز جبل الشيخ على أعدائهم فاعلموا اليه ونهيه أهل البلاد

عامية السلياس . وفي سنة ١٨١٩ مات سليمان باشا وبمعه انقضى عهد الراحة النسبية التي تمتع بها الشعب السوري في الفترة القصيرة التي عفت موت الجزائر اذ تولى زمام الحكم في صيدا عبد الله باشا الخازندار وحرص بالأمير بشير فاسترضاه هذا بليون قيرش . واراد الأمير ان يجمع المبلغ من البلاد فمارضه اللبنانيون في المتن وكسروان . وأنسوا من الممارات يوسف اسطغان . إلا الى تمضيدهم فزادوا هياجاً وعمدوا في السلياس برئاسة الشيخ فضل الحزن اجتهاداً عظيماً فرددوا فيه عدم دفع الضرائب مرتين . وأكروها اسازمدار على محاربتهم وخنق الأمير بشير وتولية

سبيل الانتصار على نابليون فتغلب هذا القائد العظيم عنها في حروبها ضد السريين (١٨١٧) وميتت بخسائر فادحة لنفسه من كسر شوكة الوهابيين بنفسها يوم انقضوا عليها واستولوا على المدينة ومكة ودانت لهم البلاد شمالية فاضطرت ان تاجأ الى صيف عهد عني لأخضاعهم وهي طفلة عما كان يفي النفس به من التوسع في تلك حتى خرج شليبا وأوغلت جيوشه في بلادها وكسرتها في معركة نصيب تلك الكسرة العظيمة التي تصدعت لها اركان العرش الشانز . ووقفت فرنسا في المسألة المصرية في جانب محمد علي وقد كادت تنهي الى حرب اوربية عظيمة وتنهي على استقلال الدولة السمانية لولا تصدي الكثرة لها وأبرامها مع روسيا وبروسيا وألمانيا معاهدة سنة ١٨٤٠ التي شملت سلامة الدولة . واعرض هذا السلطان عن فرنسا كان له فيها الخوف بوقت يفت على أمها في حرب اليونان ميت خلعت الدولة على امرها واعلمت روسيا على ولايتها الخلقية . ولولا توسط أوروبا وأرضها السلطان على الانصراف باستقلال اليونان والفلاح واليونان وبتحق المرور لسن روسيا في مضيق الاسناة لاستولى الروس على عاصمة للسلطة (١٨٢٩) . على ان قتلاء السلطان محمود حتى سطوة الانكشارية واقفائه لهم على بكرة ايهم اثر مساوئهم له في تنظيم الجيش (١٨٢٦) واتخاذ السلطنة من شرمهم انما هو مائة جيلة من الفأقر الغراء التي تجر اسلافه دونها

الأمير حسن علي وسلمان سيد احمد الشهابيين بعد أن تظاهرا بالإسلام . فنصرف
الواليان الجديدان الى مطاردة الأمير بشير وأرغماه على الفرار الى حوران مع من
انحاز اليه من الناصيين واستتب لهما الامر . غير انهما جارا على أهل البلاد فقتلوا لهما
ظهر الحزن واكرهوهما على التخلي لهما عن الولاية . واضطر الحازندار الى الانعاز لهم
في عامية لحفد كيم على أن اتفاق كلمة اللبنانيين على طاعة الأمير بشير لم يأت
الأميرين العاصيين عن عزمهما . فتدعيا بما فرض على البلاد من الضرائب الإضافية
لا حاجة المواطنين عليه ولا سيما في بلاد جبيل حيث حشد معارضوه جماعاً كثيراً من
أنصارهم في قرية لحفد ونادوا بانثورة . فزحف بجيشه عليها كالسيل الجارف . إلا أنه
اضطر بازاء ما شاهده من تكاثر عددهم وتكاثرهم أن يخف من وطأة عليهم . فطعوا
بجملته وناوشوه في عوفين . فحمل عليهم حملة صادقة وهزمهم . وتعرض الأميران
العاصيان بشوار المتن والفاطم الشيخ بشير جنبلاط في طريقه الى جبيل حيث كان
الأمير بشير ينتظره فاستظهر عليهما . وخذلما اخوانية وأعيان جبة يسرى فلماذا
بالفرار . ودخل أعيان البلاد في طاعة الأمير بشير ففما عنهم بعد أن تقاضى منهم
جزية باهظة توسل بها لاستمالة الحازندار واكتساب مودته

﴿ درويش باشا والأمير بشير ﴾ لم يكد الأمير بشير يفرغ من قمع ثورة
اللبنانيين حتى وقع بينه وبين درويش باشا والي دمشق خلاف أفضى الى امتشاق
الحسام . فزاحمت كفة النصر بين الجانبين على رغم انشغال عبد الله باشا والي صيدا
الى جانب الأمير وحسن بلاء ابنه الأمير خليل . ثم شد ابنه هذا على جيش دمشق
وقهره . فعظم الامر على درويش باشا وأعاد الكرة عليه ففشل . وكان الأمير له
ولحفائه الأمراء منصور وغرس وسلمان سيد احمد الشهابيين ضربة أشد من الأولى .
وطرب عبد الله باشا هذا النصر لبين قفح الأمير بخلعة نفيسة وسيف مرصع
بالجواهر الكريمة . ثم حاول درويش باشا استمالة الأمير بشير فخذله الأمير وقاتله في
معركة المزة الشيرة ومزق جيشه تمزيقاً ولأذ الأمراء بالفرار . فسحق على الباب
العالي انكسار جيشه وولى درويش باشا على صيدا ومدته بحجة عظيمة بقيادة والي
حلب . فاشتد ساعده واضطر الأمير بشير أن يخلى عن الحكم وينادر البلاد الى
ممر ومعه ابنه الأمير خليل والأمير أمين . فعهد الوزيران في ولاية لبنان الى الأمير
عباس شهاب . ثم زحفاً ففتح عكا وطرد الحازندار منها (١٨٢٢)

﴿الأمير بشير ومحمد علي باشا﴾ وصل الأمير بشير إلى مصر ومحمد علي برقب
الفرص لفتح سورية . وأدرك باشا ، بحسنة أن بطلاً عظيماً . فظير الأمير بشير يبلغه
المрад أن هو ظفر بمودته . فرحب به أعظم ترحيب ودعاه إلى تمضيده في ما كان
يعني النفس به من الفتح والاستعمار . فصادفت دعوته هذه هوى من نفس الأمير
وبعث يسأل عبد الله باشا الثبات على الحصار ريثما يصل إليه باليليش المصري . وفي أثناء
ذلك عفا الباب العالي عن الأمير وعن صديقه عبد الله باشا أجابة لملتمس محمد علي .
فركب الأمير إلى مكاء ومعه سلاحدار من لندن بمنزلة مصر يحمل إلى مصطفى باشا
فرمان الدولة بالسفر عن أمطارندار وكناباً من محمد علي برفع الحصار عن المدينة .
فأذن الوزير وانصرف . واستأنف الأمير بشير سيره إلى لبنان ودخل بدين خلافاً
﴿حركة المختارة﴾ وفي أثناء تسيب الأمير بشير عن لبنان توفقت عرى المودة

بين صديقه الشيخ بشير جنبلاط وبين مزاحمه الأمير عباس . فقام على أن جنبلاط
لحياته عهده . وقامر هذا مع الأمراء النعميين وفريق من الشهابيين على خذله .
وساؤل أن يستبدل عبد الله باشا إلى الأمير عباس فخذله واضطر الشيخ بشير أن يفر
بمحازبه إلى أيلة دمشق بخوربان . ثم اشتد ساعده بمن انضم إليه من آل أرسلان
ونكد والعماد وغيرهم . فحسروا قواهم في المختارة وأطبقوا بها على بدين . وأراد الأمير
يشيرأخذهم بالدين فاصبروا على المقاومة وأنتفض عليهم بنضبة رجاله الأشاوس وكسروهم .
غير أنهم ثبوتوا له وأعاد الكرة عليهم ولقي من أقبال بوزيري دمشق وصيداء والأميرين
شديد مراد وحيدر اسمعيل النعميين على تمضيده ما شدد عزيمته فاستظهر على العصاة
ولاذوا بالقرار فتهبهم إليه الأمير خليل ووقع فريق منهم في كمين نصبه لهم قائد
جيش دمشق فبعض عليهم وينهم الشيخ بشير جنبلاط والشيخ أمين العماد فشقهما
عبد الله باشا في صيداء . وانضم الأمير بشير من الأمير عباس ونسيبه الأميرين الأخوين
قارس وسلمان سيد أحمد فعمل أعينهم وقطع رؤوس الستم

﴿غزوة اليونان لبروت ونورة التابليين﴾ وفي خلال هذه الفترة كانت
حرب الاستقلال في بلاد اليونان على أشدها وغزا الأسطول اليوناني بروت (١٨٢٦)
فصده أهلها المسلمون عنها . وأنهم التصارى بالانفاق مع الأروام على هذه الفروة
وأراد عبد الله باشا معافيتهم فقال توسط الأمير بشير دون ذلك . ورحب هذه الغزوة
انتفاض التابليين على عبد الله باشا واعتصموا في قلعة سانور الشهيرة (١٨٣٠) .

وثبتوا على الحصار ثلاثة أشهر ابتدوا فيها من آيات البسالة ما وقع الرعب في قلب الوزير . واخترقوا نطاق الحصار وكادوا يوقنون بجيشه لو لم يتصد لهم الأمير بشير وابنه الأمير خليل وقهرام ويكرهام على التسليم . وقد كانت إقامة من أساسها وعاد الأمير إلى لبنان وألوية النظار تحقق فوق رأسه

في حملة إبراهيم باشا على سورية . لما دانت البلاد المصرية لسلطان محمد علي تأقت نفسه إلى الفتح والتبسط في الممالك . وكانت سورية مطمحاً لبصره . وقد أتبع له أن يكون رجل عظيم كالأمر بشير موائياً له وعمداً له السبيل إلى تحقيق أميته . ووجد في انصراف الدولة إلى حرب اليونان وفي امتناع الخازن دار عن تسليمه من فر من العمان المصريين إلى أياالة هرباً من السخرة أحسن فرصة لاكتساح الديار السورية . فحمل عليها ابنه إبراهيم باشا الفاتح الشهير ومعه سليمان بك الفرنساوي بجيش عظيم (١٨٣١) وفتح غزة وباقا والقدس ونابلس وحل في حيفا ملتقى الجيشين البحري والبري فحملها فأمدة لانتماله الحربية . واستأقب الزحف على عكا فحصرها برأ وبحراً . ووافاه الأمير بشير إليها بخفية رجاله . وزحف عثمان باشا وإلى حلب بعشرين ألف مقاتل لرد الغازي . فأنبرى له الأمير خليل ابن الأمير بشير بالتي مقاتل من اللبنانيين وقهره عند طرابلس . ثم استم تقدمته منه بمعاونة مصطفى آغا بربر حاكم طرابلس . وتغلب الفاتح المصري وقهره في جوار حصن ومزق جيشه . ثم عاد إلى عكا وفتحها عنوة بمعاونة الأمير بشير وأمر عبد الله باشا (١٨٣٢) . وزحف الفاتحان على دمشق فدخلها ظافرين . وكسرا حسين باشا القائد العثماني على بحيرة حصن وطارده البطل المصري إلى حلب وفتحها عنوة بعد معركة هائلة بيعت فيها الأرواح بيع السلاح (يوليو ١٨٣٢) . ثم أجهز على جيش عثمان باشا في بوغاز كيليكيا . وأوغل في الأناضول وكسر رشيد باشا عند قونية كسرة عظيمة (ديسمبر ١٨٣٢) ووقف عند مدينة بورصة . وتلا ذلك اضطرام نار الفتى في بلاد صغد وطرابلس ورجال المصرية وبلاد عكا (١٨٣٣) فقمعا الأمير بشير وابنه الأمير خليل . وأراد إبراهيم باشا سد الفراغ الذي وقع في صفوف جيشه فأكره دروز لبنان على الانضمام في سلك الجندية بعد أن جمع أسلحتهم وأسلحة المسيحيين (١٨٣٤) . وأراد في السنة التالية تعبيد دروز حوران ووادي التيم فأبوا الانضمام وأحاز اليهم العرب وقاتلوا وإلى دمشق وكروء . وشدا زورهم شبلي العرياب البطل الشهير

فاستجلى أمرهم وأزلوا بنخيش المصري مشارة فادحة حتى نشط إبراهيم باشا لمقاومتهم بنفسه ، فوفق بمعاونة الأمير خليل ومن انضوى تحت رايته من نصارى لبنان إلى كسر شوكتهم وإكراههم على التنازل السلاح . وانجبت الفاتح المصري بمسألة تمديد شلبي المصري فهد إليه في قيادة كتيبة من الفرسان . وكان ذلك خروج عرب الصفا عن طاعة إبراهيم باشا ففكح جماعتهم الأمير مسعود ابن الأمير خليل (١٨٣٦)

عز المسألة المصرية في كتاب فتوحات إبراهيم باشا صدى عظيم في أوروبا . وأشفت روسيا أن تسقط الاسنانة في يده وعلى طاعة فيبدأ أحداث الدولة العثمانية بفرقة من جيشها . وأبى تمتد على التحول عما فتحه من بلادها لقاء إعطائها له ولاية مصر على مدى العبر وتمويله الحق في تعيين ولاية سورية (١٨٣٣) واستأنف إبراهيم باشا القتال في جوار نصبيين فاحرق ناصراً نظيباً وسحق الجيش العثماني . وعقب ذلك موت السلطان محمود ونصيب السلطان العثماني إلى السلطان المصري فازداد الشر تفاقماً . ونصير على الدول حل المسألة المصرية على وجه يتفق مع مصالحها المتناقضة . وتقاتل الحلاف بين فرنسا وإنجلترا حتى خيف من نشوب حرب أوروبية . وكانت فرنسا تؤيد محمد علي وتلح في إعطائه مصر وسورية وآطنة . وعرضت إنجلترا أن يسلم نصف سورية الإنجليزي بعد اخراج عكا منه . وعقد مؤتمر في لندن (١٨٤٠) فلم يسفر عن نتيجة ماسية . وأراد يارس الوزير الفرنسي الشهير إكراه الباب العالي على الانصياع لشيئة دولته فقبل . وانشأ إنجلترا وروسيا وبروسيا واتحسا على اخراج الجيش المصري من بلاد الدولة عنوة وعهدن إلى إنجلترا والنمسا في تنفيذ هذا الاتفاق (١٨٤٠)

في صدى المسألة المصرية في لبنان وسورية في كل نصرف الدول في حل المسألة المصرية على الوجه المتقدم تأثير شديد في الدائر الشعبية . فشرع عمال إنجلترا في تمريض اللبنانيين على طمع طاعة محمد علي . وخاف إبراهيم باشا والأمير بشير أن يفضي ذلك إلى ما لا تحسد عليه . فصعد إلى جمع الأسلحة منهم . فتأوموها واضطربت نار الفتن في أنحاء شتى من البلاد . وتولى قيادة العصاة أبو سمر غانم البكاسيني والشيخ فراس بن أبو نادر لحازن وقرمق من الأمراء الشيايين والشميين الذين كانوا ناطقين على الأمير بشير وفي جماعتهم الأمير محمود سلطان والأمير علي منصور الشيايين . واحتجاس عثمان باشا بلاد الفتن وأكره إعطائها على تسليم أسلحتهم . ونهيج نهجه الأمير

خليل في كسروان فخار على أهلها وقبض على معظم رعاياه الثوار ما عدا الشيخ أبو نادر الحازن حيث كان قد فرّ إلى قبرص فقام الأمير بشير إلى سائر بالسودان

فجرّ جلاء إبراهيم باشا عن سورية ^{١٨٤٠} أما عند علي فلم يذعن لمشيئة الدول المتحدة وطرد سفرائها من قصره يوم اتوا لتبنيته قرار المؤتمر . ولما أيقن بعد سقوط وزارة نيارس أن فرنسا سرّعة على التخلي عنه كانت بوارج الدول تطلق قذائل مدافعها على نفود سورية وقد انزلت إلى البر عشرة آلاف مقاتل من الإنكليز والأتراك فوزعوا الأسلحة على المشاة فتصد ساعدهم واستأنفوا القتال فاستظهر أبو سمرا البكاسيني على الأمير مجيد شهاب ثم كسر الجيش المصري في عيناتا ثم كسره . ودم الكسروانيون عثمان باشا والأمير خليل شهاب في وطا الجوز . وظلت الحرب سجالا بين الفريقين إلى أن وصل إبراهيم باشا بغيته ودحر الكسروانيين وأطلق أيدي النهب في طول البلاد وعرضها وأضرمت النار في القرى والمزارع وبات كثير من المعاهد الدينية طعمة للنادار . ولم يرح الأمير بشير العهد السلاح وأولاده وأحفاده بين يدي إبراهيم باشا يقاتلون في صفوف جيشه . فزله القائد العثماني من ولاية لبنان وعهد فيها بإيعاز المستر فود الإنكليزي إلى الأمير بشير فاسم مدحهم شهاب ومده بالف مقاتل . فزحف على سرود كسروان لشدّ أزر الكسروانيين . فلهوا شمشهم وانقضوا على الجيش المصري وعزموه وظلوا يسلطون سيوفهم في أقبية حتى سقط رجاله في البقاع ثم أوغل في الانهزام إلى المن . وهناك أسهم الممات فضتهم منه في بحر صاف وأكرهوه على الفرار . وشعر الأمير بشير بتخرج موقفه فسار إلى صيداء التسليم . فطرق اليأس إلى قلب إبراهيم باشا وأسودت الدنيا في عينيه . وفي أثناء ذلك كان محمد علي أذن لمشيئة الدول المتحدة وجعل السلطان ولاية مصر ملكاً له ولذريته (١٨٤١) . فبعث يستدعي ابنه من سورية وصعد هذا الأمر وجلا بقول جيشه عنها

فجرّ مصر الأمير بشير ^{١٨٤٠} أما الأمير بشير فالتى سلاحه بين يدي خالد باشا وإلى صيداء فبالغ في أكرامه . وأباح له عزت باشا القائد العثماني العام اختيار مكان لإقامته في غير سورية وفرنسا . فاختار جزيرة حالطة وأبحر إليها مع حاشية كبيرة ولهذا لقب بالخالطي . ثم انتقل إلى الإسكندرية وتوفي فيها سنة ١٨٥٠

وكان الأمير بشير بطلاً مهنوياً تضرب الأمثال بحجراته وأندامه وبسالته وكبر نفسه . وكان مراباً يزري منظره بخضر الأسد ويلقي الرعب في قلب محدثه أو الناظر



ابو سمرا غانم البكاسيني

من اكبر زعماء الثورة في حرب ابراهيم باشا مع اللبنانيين

ليه مهما كان جريئاً رابط البجاش . وكان على صلابه عوده حليماً حكماً مدبراً يضع الاشياء في اماكنها عادلاً منصفاً لا يؤخذ بهوى النفس . ومع ما كان مأثوراً عنه من شدة الوطأة على اعدائه فان السيف لم يكن عنده أول علاج يلجأ اليه لردم الى طاعته أو لدره شرم عنه . وكان شديد الولاء لاصدقائه شديد العطف عليهم في ساعات محنتهم . وكثيراً ما كان يستهدف للمخاطر من أجلهم كما جرى له مع ابراهيم باشا حيث جازف بامارته وفقدما تأييداً له للمحافظة على عهده معه . وعلى الجملة فان هذا الأمير العظيم الشأن تسمي في أخلاقه وقوة بصيرته واطواره وأعماله الى طبقة عجز دونها مشاهير الشرق واقطابهم . ولو نشأ في غير سورية وفي غير الظروف التي أحاطت به لذكر المؤرخون اسمه بجانب اسم قيصر والاسكندر وبومبايوس وغيرهم من كبار الفاتحين



خلف السلطان عبد المجيد أياه على عرش بني عثمان (١٨٣٩ — ١٨٦١) والفتح المصري على أبواب الاسكندرية . فأراد أن يخرج الدولة من نطاق الخطر المضروب حولها وأصدر فرمان الاصلاح الشرع بخط كسختا (نوفمبر ١٨٣٩) الذي ساوى فيه بين رعاياه وهو يرجو بذلك أن يستبيل الدول اليه تنصفه في قضيته مع محمد علي ، وقد ظفر بهيته لاتفاق مصالح الدول المتحدة في المسألة المصرية مع مصلحة دولته . وفي أيامه انضم الفلاح والبنديان الى ترنسلفانيا وألقوا بعد جهاد طويل بمملكة رومانيا (١٨٤٨ — ١٨٥٩) . ثم نشبت حرب القرم بينه وبين الروس (١٨٥٤ — ١٨٥٦) قصرتة اذكلترا وفرنسا عليهم وخرجت الدولة منها طافرة وضمن لها مؤتمر باريس استقلالها بعد أن طأهت الدول على اجراء الاصلاح في بلادها . ثم وقعت مذابح الستين في لبنان وسورية (١٨٦٠) . فكانت لمملكة خاتمة محزنة . لكنه أحسن التدبير في دره الخطر الذي جرته على الدولة ومات متبوطاً قرر العين وخلفه السلطان عبد العزيز (١)

(١) كان الباعث على نشوب حرب القرم خلاف قام بين الروم وثلاثين على الاماكن المقدسة في القدس . ولم يرق لروسيا حسب الدولة له في مصلحة اللاتين بحارة ثابوليون الثالث . عرضت على انكلترا الاتفاق معها على تميزية تركيا فتدخلتها وانعازت الى فرنسا . ودارت رسمي الحرب فاقصر الجيش النماني في هذه معارك . وجازت الاماطيل الانكليزية والفرنساوية

في الحرب الأهلية الأولى بين المسيحيين والدروز استولى الأمير بشير قاسم الشهابي الصغير على منصة الإمارة اللبنانية وأبطلاد خارجة من حرب إبراهيم باشا وأهنة المزعجة منهوكة القوى وفي قلوب الدروز شيء من الفل للمسيحيين يرجع عهده إلى ما كان هؤلاء من الشأن في ردم على يد الأمير خليل شهاب إلى طاعة الفلاح المصري ، فلم يستطع الأمير بشير — وهذا شأن اللبنانيين من التخاذل والاضطراب — أن يرأب صدعهم ولم شفعهم . ودقت بينه وبين أعيان الدروز نفرة أدت بهم إلى محاصرهم له في دير القمر . وانفضى ذلك إلى قنة كبرى بينهم وبين النصاري تصرف بالحركة الأولى (١٨٤١) . وقد تطايرت شظاياها إلى أقاصى جنوب لبنان وذهبت بأرواح كثيرة . ووصل مصطفى نوري باشا إلى الحيل وفدأ من الباب العالي لتنظيم شؤونهم . فعزل الأمير بشير وعرض على اللبنانيين قبول والي عليهم من رجال الدولة . فاذعن الدروز لصيحته . أما النصاري فخيروا أمه واحضجوا إلى الباب العالي وسفراء الدول على محاولته خرق نظام الحكم في جبلهم على هذا الوجه المنكر انجصف بحقوقهم القديمة والمغابر كفاليدهم الموروثة

وفي السنة الثانية عهد في ولاية لبنان إلى عمر باشا النمساوي العثماني . وسعى لاسترضاء الدروز والنصاري فخط مساهم لانه اقتصر في أرضاء الدروز على جعل أحد مدبريه منهم واعتقل أعيانهم فقصوا عليه . وولى الحمادية على جيل والبتون والذكورة وأصحابها يومئذ بنو الحازن فشق ذلك عليهم . وعد النصاري استناد قيادة الجند اللبناني إلى أبي سمرا البكاسيني ويوسف أغا الشثري المسيحيين غير كاف لأرضائهم وانصافهم . وباتوا والدروز سواء في الاستياء منه . وانفقوا على أن يولوا عليهم أميراً شهابياً يحاربه أمير من المصين ويدبر شؤون ولايته أربعة مدبرين اثنين مسيحيين واثنين درزيين . وشرعوا في مناوشة عسكر عمر باشا لطرده من البلاد . وفي أثناء ذلك وقعت بين آل حبيش وآل الدحداح في غزير مشاجرة عنيفة أسفرت عن قتل أربعة من أبناء الشيخ حمزة

اليوسفور إلى البحر الأسود وضربت نفور روسيا . واحتلت النمسا أملاقي الفلاح والبندان . ثم اشتبكت جيوش الدول المتحدة مع الروس في معركة هائلة أسفرت عن انتصارها عليهم . ثم هاجت قلعة سميت بول الشهيرة ووالد هيجاتها عليها إلى ان فتح الجنرال مكماهون الشهير حصن ملاكون وسقطت القلعة في أيدي الحلفاء بعد أن استعمل حباتها في الدافع . وأوقعت ميوشهم في املاك روسيا وأكرمت القيصير على الصالح

وصرف الأمير حيدر آخر سني حكمه مغبوطاً طيب النفس . وواقته منيته سنة ١٨٥٤ ولا ذكر له تقدير الولاية موقفاً ابن أخيه الأمير بشير عساف الى ان صدر الامر العالي بتولية الأمير بشير احمد المعني . وكان الأمير حيدر ورعاً حازماً حليماً عادلاً عالي الهمة صادق العزيمة مقدماً تجلّى هبة الأمراء على محياه بأجل مظاهرها .



البطرك بولس مسعد

(١٨٥٤ — ١٨٩٠)

وقد تحمل باطريب المناقب وأسمى الفضائل ولهذا كان عهده في لبنان مباركاً ميموناً وهو من أكبر أمراء لبنان ومن أجلم قدرأ واكثرهم فضلاً . وقد عزز شأن النصرانية في لبنان وجعل معاهدها ورجلها في مقام دونه كل مقام

﴿ نكبة الخوازنة واقضاء حكم الاقطاع ﴾ فقد الأمير بشير المامي زمام الحكم والسكينة النسبية سائدة جيل لبنان . غير أن البلاد كانت يومئذ في دور التطور وقد دب روح التمرد على الحكم الوطنيين في صدور العامة ففعل فيها فعل النار في المشيم . قتال الأمير المامي من عائلة هذه الروح ما نال سواه من الحكام حيث أثار الكولونيل مشربك الانكليزي خواطر اللبنانيين عليه . ونجلى هياجهم على أشده في المثنى وجبة بشرى وصرود كسروان وغزير . وما يرح الخلف بينه وبين خصومه يتفاقم حتى باتت البلاد في حال من الفوضى لا تحمد عقباها واضطر الباب العالي أن يزيله من منصبه (١٨٥٩) .

على أن عزل الأمير المامي لم يحل دون استقامته من خصومه ولا سببا الخوازنة حكام كسروان . فتذرع بما أنفه من جنوح فريق منهم الى تعصيده لحل هذا الفريق على أبقار صدور العامة عليهم والتأمر على اشتراع الساطة منهم . وقضى جواب والي بيروت لمن استبد الثوار من زعمائهم رضع ظلامتهم اليه على البقية الباقية في قوسهم من روح المسألة وحوّل سورة الافكار الى فتنة كبرى حيث جعل الثوار على الخوازنة حملة شعواء بقيادة طانيوس شاهين الريفوني (١٨٥٩) وطردوهم من البلاد بعد أن فتكوا بجماة منهم وأضرمو النار في دورهم . واستغاث كبراؤهم بطريرك الموارنة — وهو يومئذ البطريرك بولس مسعد — وقصّل فرسانا فقتلوا على قم الثورة وأكراه الثوار على الكف عن مطاردتهم وردّ مسلوبيهم اليهم . ولولا توسطهما لتفاقم الخطب وعظم البلاء . لأن بدأ قوة كانت تدمر الفسائس طي الحفاء للبنانيين حتى إذا أضمام القتال وتولاهم المعجز ملكة رقبهم وتحدث فيهم بحكم السيد بعبده طبقاً لما تقضي به مصلحة الدولة وسياستها التقليدية الحرقاء في الديار الشامية

﴿ الحرب الاهلية الثالثة بين النصارى والدروز ﴾ لم تكد نحمد جذوة الفن في كسروان حتى غلبتها مذابح الستين الشهيرة (١٨٦٠) . تطايرت شرارتها الاولى من وادي شحور حيث قتل الأمير عباس قلم الشهابي وأخيه الأمير بشير آخر من نولى الامارة اللبنانية من بني شهاب . وعلى أثر ذلك نشبت في بيت مري فتنة شديدة أثارها النمرة الدينية في صدور اللبنانيين . فاضطربت نار الثورة في جنوب لبنان وسورية ولا سيما في دمشق وحاصبيا وراشيا وزحلة . ونجلى الهياج على أشده في دير القمر حيث انحاز جنود الدولة الى الثوار وذبحوا من المسيحيين ألف وخمسمائة نفس بعد

ان جردوا عنهم أسلحتهم غدرًا وحيلة . وكان يوسف بك كرم أول من هب للرد
الخطر عن التكويين فزحف نحو التي مقاتل كالسيل الجارف على بلاد الشوف .
وأشرف على زحطة وقد طوفها الدروز وأضرموها النار فيها فقتل راجعاً إلى جونية عملاً
بإشارة قنصل فرنسا وأصرف إلى أمة التكويين وكان قد اجتمع منهم هناك زهاء
ثلاثين ألف نفس . وقد هلك من التصارى في هذه المذابح أحد عشر ألفاً



يوسف بك كرم

وعلى أثر ذلك أخذ السلطان عبد المجيد فؤاد باشا الصدر الأعظم إلى سورية لمقاومة
مثيري هذه الفتنة المائلة . فشنق وتقى عدداً من أعيان دمشق وبيروت . وعرف بما
كان ليوسف بك كرم من الشأن في اغتامة الذين سلموا من المذابح فعهد إليه في وكالة
قائمة التصارى . وأرسلت الدولة الفرنسية إلى سورية باسم دول أوروبا حملة
عسكرية قوامها سبعة آلاف جندي بقيادة الجنرال بوفور والجنرال ديكور لإعادة الأمن
إلى نصابه . واتبعتها الدول الحس الكبرى فرنسا وإنكلترا وروسيا وبروسيا والنمسا
بلجنة دولية مؤلفة من خمسة مندوبين للمداولة في ما ينبغي لها أن تجرب به حقاً للدماء
ومنأ لتجديد الفتن في لبنان . فانفقوا بعد مناقشات طويلة لا محل لها هنا على سن

النظام اللبناني الحديث (١٨٦١) الذي قضى على نظام الاقطاع وكان من حسنات الزمان وان اعتوره من النقص والابهام ما سوغ للدولة التفرع بالتمويل الاستبدادية التي تعلوي تحتها لتحكم اللبنانيين على ما نشاء ونهوى



جلس السلطان عبد العزيز على العرش (١٨٦١ — ١٨٧٦) والدولة قائمة على محاربة الجبل الاسود . فواصل الحرب الى ان فتحه (١٨٥٨ — ١٨٦٤) . وقد زار القطر المصري (١٨٦٣) وباريس (١٨٦٧) . وتلا ذلك خروج السريين عن طاعة الدولة وظفرهم بالاستقلال (١٨٦٢ — ١٨٧٧) . وفي عهده تار أهل كربت على الدولة واكرهوها على منحهم عدة امتيازات أهمها انفاؤهم من الجندية (١٨٦٩) . وخلق مؤامرة واشتهر انه اغتيل في سراي طوبقو (١٨٧٦) (١)

وخلف عبد العزيز السلطان مراد الخامس (١٨٧٦) فلم يملك الا أياماً معدودة حيث تولاها اضطراب عصي اقضى به الى الجنون . فخلع ونودي باخيه عبد الحميد ثبوا السلطان عبد الحميد عرش اجداده (١٨٧٦ — ١٩٠٩) والسلطنة مخفوفة بالمخاطر والدول الاوربية تلح على الباب العالي في طلب الاصلاح . فرأى ان يضع لها نظاماً دستورياً توروبياً بحول دون نمرض اوربا لشؤونها الداخلية . لكنه ما كاد يطمئن على عرشه حتى عمت باندستور واغتال منشئه مدحت باشا أبا الاحرار المصلح الشهيد وحل مجلس النواب الذي كان آنه وقتئذ . فغبرت له روسيا واقترحت عليه اجراء الاصلاح على قاعدة عدل محلة بشأن الدولة ورفضها . فشهرت عليه الحرب

(١) مما يستلزم الانتظار من تاريخ هذا السلطان انه لم يولد في الحروب التي خاض غمارها خرمناً واحداً من اغراضه . غير لولا الجبل الاسود فدان توسما روسيا وفرنسا دون اجهازه عليه . وظفر بقمع ثورة السريين ولكن الدول الاوربية اكرهته على الاعتراف باستقلالهم . وشق عليه ضياع املوة السرب من بدء فانتحل عنراً لاستئناف الحرب مقاومه الامير ميلان (١٨٧٦ — ١٨٧٧) وقضى مؤتمر برلين بنوع - بيع حدودها (ثم جعلت مملكة وسمي الامير ميلان ملكاً عليها ثم اعتزل الملك وزار سربياً ولبنان وخلفه ابنه اسكندر وهو الذي قتل سنة ١٩٠٣ واغضى عرش السرب الى الملك بطرس الاول) وحاول هذا السلطان القضاء على الكرپيين فانفق - ثم خلع ومات قتلاً . فكان ملكه سلسلة مكارء وبلايا وضعت في طبقة دون طبقة السلاطين للمقام وان يكن في - يبرته ما يسهل في حكم الحسنة كغروجه عن تقاليد السلطنة يزايرو اوربا وتجاوزو في مائة المسيحيين ورؤسائهم الدينيين حدود الجماعة المأثورة عند سلاطين آل عثمان

(١٨٧٧) وقهرته وأكرهته على توقيع معاهدتي أدرنة وسان استفانو اللتين مهدتا السبيل لعقد مؤتمر في فينا (١٨٧٨) اقترح جاقياً عظيماً من سلطة الدولة واستقلالها السيامي وجعل أوربا بمنزلة المشرفة عليها . وفي عهده نشبت في جزيرة كريت ثورة عظيمة انضت الى وقوع الحرب بين الدولة واليونان (١٨٩٧) وأوشك الترك ان يقضوا على استقلالهم لولا تصدي الدول الحامية لمملكة اليونان للفرقة ووقوفها في سيلاهم . وفي السنة التالية ظهرت المسألة المقدونية ونقلها ثورة البين (١٨٩٨ — ١٩٠٥) ففجرت الدولة عن قمها واضطرت الى مصالحة الامام يحيى قبل ان يتاح لها اتمام سكة الحديد الحجازية التي مدتها لهذا الغرض (١٩٠٠ — ١٩٠٨) وقد ختم ملكه بانضمام كريت الى اليونان (١٩٠٦) واستقلال بلغاريا والرومي الشرقية استقلالاً تاماً وضم النمسا مقاطعتي البوسنة والهرسك الى املاكها (اكتوبر سنة ١٩٠٨) ففقدت الدولة بذلك بلاداً مساحتها ٥١ الف كيلو متر مربع وجزيرة مساحتها ٨٦١٨ كيلو متراً مربعاً . وقد اشتهر عبد الحميد بذكاء الفؤاد والدهاء النادر . ولكنه صرف ذكائه ودهاءه في التفريق بين رعاياه فكانت القاعدة المزعجة في الدول الاستبدادية : « فرق تسد » شعار دولته . وتفنن في اضطهاد المفكرين والمصلحين وقتل الاغنى البريئة صيانة لحياهه وعرشه . وارتكب في هذا السبيل من المنكرات ما ترتد له الفرائص . ولولا ما صادفته جمجمة الانحاد والترقي من الكوفيق في خطه وزجه في السجن لخلل مالكا رقاب رعاياه الى اليوم^(١)

(١) كانت الحرب التي امتنع عبد الحميد بها ملكه وبالا على الدولة حيث قهرها الروس برغم استبدال جيوشها ولا سيما في معارك بلغاريا وقارس الشهيرة . وقضت معاهدة أدرنة التي تلها بترقية البلغار الى أملة ممتازة ومنح رومانيا الاستقلال السيامي . ثم جاءت معاهدة سان استفانو معززة لمطالب الروس للمنطقة باصلاح السلطنة النمائية . ونفى مؤتمر فينا بأنشاء ولاية الرومي الشرقية . واحتلال النمسا لبوسنة والهرسك . وتخلي الدولة عن اودهان وقارس وبلطيم لروسيا . وتأميمها الارمن على ارواحهم وادراهم . . . وتأيد حق فرنسا في حاية المسيحيين في السلطنة النمائية . وغير ذلك مما لم ينسخه هذا المؤتمر من الشروط التي اقراها مؤتمر بلويس ولندن (١٨٥٦ و١٨٧١) وعلى الجلة فان هذا المؤتمر جعل الدولة النمائية تحت وصاية اوربا . غير ان عبد الحميد انمط بالامر التي مرت به فاقنع الخلاف بين الدول الادرية وأن ينبطها فانصرف الى تعزيز سلطانه . وحال خلافتين دون ممانته على ما ارتكبه من الفظائع ولا سيما مذابح الارمن (١٨٨٨ و١٨٩٤) حيث اهلك منهم زهاء نصف مليون نفس وهو آمن على حياته وعرشه . ولولا ترغفه في اضطهاد المصلحين من رجال دولته واضطراو

وبعد خلق عبد الحميد نوادي باخيه السلطان محمد رشاد (١٩٠٩). فاستسلم الى مشيئة الاتحاديين لضعفه ولانه صنيحهم . فاستأثروا بالسلطة من دونه وجاروا وبضوا . فانقسم حزبهم على بعضه وخرج منه رجال الاصلاح الحقيقيين وألقوا حزب الائتلافيين . وشبت نار التنف في اليمن والنسير وحوذان وانكرلك وفي شمال سورية ولاسيما في اللاذقية والبقاع انجلورة لها وفي ولاية آطنه حيث ذبح الارمن ذبح الانعام . واتهرت ايطاليا هذه الفرصة فخاربت الدولة وانتزعت منها جزر بحر ايجة وطرابلس الغرب (١٩١٢) ففقدت الدولة بذلك بلاداً مساحتها مليون كيلو متر مربع ما عدا الجزر المتقدمة . وهبت الدول البلقانية غاربة الدولة وانتزعت منها معظم املاكها في اوربا ولم يترك لها فيها الا بقعة صغيرة حول الاسانة (١٩١٣) أما الاشتراكيون فحملوا غرضهم الاعتراف للعناصر القومية بحقوقها الطبيعية الموروثة واحترام لغاتها وأديانها وماداتها قايدتهم وكثر أنصارهم خلافاً للاتحاديين فانهم حملوا شعارهم قريك هذه العناصر وابادة ما لا يستطيع تربك منها كما هو شأنهم مع النصر العربي الذي تجلبت نواياهم الحبيثة نحوه في الحرب الاوربية العظمى الثالثة اليوم بانقطع أشكالها حيث فرروا ابادته بالسيف والجوع كما أبادوا من قبله النصر الارمني (١٩١٥ - ١٩١٦) فدلوا بذلك على أنهم ارتقوا في الجهل والهمجية على نسبة ارتقاء الامم الاخرى في العلم والمدنية

لبنانه بعد نظام الحرب

﴿ بين داود باشا ويوسف كرم ﴾ كان من حسنات نظام لبنان الحديث انه تعاقب على عرش بني عتيان في الحقة التي تلت حوادث سنة ١٨٩٠ أربعة سلاطين وسورية في منزلة من الرخاء وخفصة العيش تقيطها عليها سائر الولايات العمانية . وما تحلل هذه الحقة من الاضطراب إنما هو صفة لازمة لكل تطور كالتطور الذي

رجال السياسة في فرنسا وانجلترا الى تأييدهم في بت دعوتهم لا استطاع هؤلاء المصاحون ان يرموه على بحث دستور مدحت بشا من قبله (١٩٠٨) ويقبضوا على زمام السلطة بينه من حديد ويتاح لهم في ما بعد ان يخذوه ويبيدوا بشؤون الدولة استبداداً قبيحاً متكرراً كان استبداد مثا السلطان وارثه دونه شدة وظفارة

مر بها على أثر تلك الحوادث المشهورة

أول من تولى أمارة لبنان بمقتضى النظام الحديث داود باشا الأرميني (١٨٦١ — ١٨٦٨) . فقد زمامها وهو غريب عنها يجهل طبائع اللبنانيين وأحوالهم . وأراد مخالفة أحكام النظام بخضاعة مال الجبل لإبلاغه إلى سبعة آلاف كيس « ٣٥ ألف ليرة » وهو ما لا يجيزه هذا النظام إلا عند الضرورة القصوى « البند ١٦ » فكان عمله هذا مهياراً في جنب لبنان وهو خارج من فئة الستين دامي القلب مقصوم الظاهر بين من فداحة الخسائر التي مني بها فيها . فهب اللبنانيون لمعارضته . وكان يوسف بك كرم نائماً على داود لاصراره على تنفيذ خطته الاستبدادية على رغم النصائح التي بذلها له . فشد أزر المعارضين خطته وأبصر تنازله . فقامت بينهما حرب عوان رأى هذا الحاكم فيها من بسالة خصمه وصلابة عوده وثباته في مواطن الصدام والطمان وعظم سلطوته وسعة جاهه ونفوذه ما حمّله على التمسك بالاسترضائه . ولكنه أخفق في مساهة وذكر ما للوشايات من الشأن في قضاء الحاجات — وهو درس كان قد حذقه في الاستانة — فوشى به إلى الجنرال بوفور بأنه مائل لفؤاد باشا ضد الدولة الفرنسية . وكاد الخصام الذي قام على أثر هذه الوشاية بين بطل لبنان وبين هذا القائد يفضي إلى ما لا تحمد عقباه لولا توسط بطريرك الموارنة . وأراد البطريرك حسم الخلاف بين كرم وخصمه خال عناد داود وكبرياؤه دون ذلك واستأنف ابن كرم محاربته . وفي أثناء ذلك كانت فؤاد بلشاً أتم مهمته في سورية . وخاف أن يفضي إرسال كرم في المقاومة إلى تجديد الفتن في البلاد فاستنصحه إلى الاستانة (١٨٦١) . ولما جددت ولاية داود باشا (١٨٦٤) عاد كرم إلى لبنان ودخل إليه دخول الظافر . فاجبر داود إلى الاستانة في التماس معونة الدولة . وأندرك ابن كرم ما وراء الأكمة فعمد إلى المسالمة لثلاثتهم بمصيانها . غير أن داود أبى إلا القضاء على سلطوته . فاستأنف بطل لبنان القتال وكسره في كثير من المعارك التي تشعبت بينهما حتى اضطر داود أن يعرض عليه ولاية شمال لبنان إلى نهر الكلب . فأبها وأصر على طرده من البلاد ودارت رحى الحرب . فاستظهر كرم على عساكر الدولة واستفحل أمره . وشعرت الدولة بهجزها عن كسر شوكتها فاستعانت بفرنسا وانفقت الدولتان على اخراجه من لبنان . فالتقى سلاحه بين يدي البطريرك الماروني وأبحر إلى فرنسا حيث أنزله نابوليون الثالث في ضيافته ورتب له جملاً سنوياً (١٨٦٧) وصرف بقية حياته في نابولي . وكان بطلاً



سمعان آغا عقل

احمد رجاں يوسف بنت "الكره المشهورين

عظيمةً يشغل المقام الأول بين رجال السيف الذين نشأوا تحت مياه لبنان^(١) واذ خلا الجبل للداود باشا جنح إلى الاستقلال بولاية لبنان، وأدرك الباب العالي

(١) يوسف بك كرم، هو ابن الشيخ بطرس كرم حاكم أمش وعلقتها . ولد سنة ١٨٢٥ ودرس علم السلاح على الشيخ عماد افنديم البطل المافوري الشهير . وخلف أباه في ولاية أمش . ثم تولى فائدية القصارى بعد مناج سنة ١٨٦٠ . ولما جعل داود باشا حصراً على لبنان اضطر إلى تركه وأثار عليه خواطر الليتانيين لمخالفته نظام لبنان والتي عليه في رفضه فائدية جزين درساً في علم الوطنية زاده رسولاً في نفس هذا الحاكم ثبات ابن كرم في معارضته ومقاومته له ولا سيما بعد أن كثرت انتصاراته وانتصروا تحت رايته مثبات من أبطال لبنان حتى اضطر إلى التماس الصلح على يد البطريرك بولس مسعد . فبعد أن رسالة البطريرك ذهبت بأزاء عجرة داود ومكافأته ضياعاً . وشق عليه فشله في ما كان يرجوه من تأييد البطريرك له فقم عليه . وبلغ به الضرر إلى إثارة الرأي العام ضده . وظاف هذه الغاية في سرود كرميان وفي يده سوطان وعلى صدره صليب ذهبي امتناناً لسلطة البطريرك . على أن تماظم سلوة كرم بعد عودته إلى لبنان أناب هذا الحاكم الذي أتى رشده بعد أن نحاسه خصمه وعرض عليه نصف ولاية لبنان . فأبى عليه وطنيته الأعضاء على القدي بهذا الزمن البهيم وأصر على إخراجه من البلاد . ومما يذم في الأبحار من سيرة هذا البطل العظيم أن الدولة جردت عليه مدرة آلاف مقاتل بقيادة أمين باشا الأمر . وهال هذا القائد ما كان من بطش بطن لبنان بمن ساقته الدولة لقتال من الكتاب منسوبة إلى اجتماع بمقه في إحدى قرى الجهة بحجة انظر في مطالبه وهو يريد التدر به . فحين أن كرم أدرك سر الكيدة نشر حسامه وشق لنفسه طريقاً في قباب الجيش وانقض رجاله لقتضاض الأسد على أعدائهم وأعملوا السيف في رقابهم . ثم اجتمع على قتاله جيش آخر قوامه ١٨ ألف مقاتل فلم يظفروا منه بطائل ودمرهم إلى طرابلس بضع مئات من رجاله . وجرت المأساة تارة من مكان إلى مكان في اغنيها ووطن بها . وقد جرى له فيها نوادر تعد في حكم المعجزات . من ذلك ما يروى من بطشه . وعدد رجاله لا يحاوي العدد . بألف مقاتل من جنود بذلك في وادي انصور على حدود بذلك . وأشدق به ألف جندي آخر على نسج جوعت فقتضى حسامه واخترق صفوفهم فانحسروا من طريقه كالذباب ونجا على قلة رجاله من الكمين الذي كانوا نصبوه له هناك . وعلى هذا المنوال كان ينازل جيوش الدولة فيكرها واحداً بعد آخر وعدد رجاله لا يربى في أعظم المنارك التي خلص نهارها على أربسة مقاتل حتى جرى ذكر بسلته وبشته بحري الأمثال . وما زال بين كرم وغرق استقلال أمره واستجار الباب العالي بالدولة الفرنسية . وكان انتصارها في بيروت بعد وجود كرم في لبنان خطراً على النفوذ الفرنسي في سورية فأناله موافقه إلى بكركي . وبلغه رسول القنصل ورحى الحرب دائرة بينه وبين صاكر الدولة في الوادي الفاصل بين الناطع وكسروان وعدد رجاله لا يحاوي أربعة وقد أبلوا في تلك الحرب بلاء عظيماً . فبنى دعوة القنصل ولا سيما أنه كان البطريرك يد في الأمر . فبين في الاجتماع العظيم الذي

والدول الأوروبية حقيقة غرضه من محاربة ابن كرم فاقيل من منصبه قبل أن
يظفر بأمنيته

﴿ ولاية فرقهو باشا ﴾ وخلف داود باشا على ولاية جبل لبنان فرقهو باشا
الحلي (١٨٦٨ — ١٨٧٢) . فسلخ صول البقاع المشهور بخصبه عن لبنان وألحقه
بولاية سورية . خرم اللبنانيين بذلك مورداً من أعظم موارد ثروتهم . وسدّت
أبواب الرزق في وجه السواد الأعظم منهم . فالتخوّم في الخارج . وازداد تيار
المهاجرة . وكان متديناً صالحاً مستقيماً يحترم رجال الدين ويحافظ على كرامة العشائر
اللبنانية . ولذلك كان عهدده في لبنان عهد راحة وسكون . فلم ينازعه السلطة منازع
ولم يقم في سبيله ما قام في سبيل سابقه من أحداث التي عجز عن تذليلها ^(١)

عقد في المنز البطريركي اذ لي التائه سلاح بين ابدي مثال فرنسا ورميس طامت ضماناً كلفيا
السياسة كرامته وأحراره ثقة نابليون وعظمه . فسلم وصرف رجاله مرشحاً وخرج من القام
البطريركي لي موكب عظيم لم يشهد اثنان موكباً أكثر منه ابنة وعظمة . والبحر الى فرنسا على
مركب حربي . مرعب به نابليون أعظم رقيب وأعجب جليانه وبسائه ووطنيته . ثم انتقل
الى جزائر الغرب حيث صرف مدته . وعاد الى باريس وهو يعني بالنفس بصرف بقية حياته فيها .
صالح ما وقع بينه وبين وزير خارجية فرنسا من سوء التفاهم دون هذا الامر . وفادرها الى
البلجيكا لرومية فجزيرد كورفو . ثم أم نابولي واستقر فيها وعرض عليه وهو هناك ان يجلس
بالحقبة الايدالية في الاستسك بحبيته الغنائية . وأراد كامل باشا الصدر الاعظم مكافأته
على هذا الولاء بحسب سام يستد اليه في الدولة (١٨٨٧) . فاعتذر عن القبول لانه لم يكن
يردق له الا خدمة وعظه اثنان القدي ضجى حبيته في سبيله . وتولى في نابولي (١٨٨٨)
وصوره ٦٣ سنة وعظمت بيته الى امدن في جبل لبنان . وكان كرم شجاعاً بلائعاً عالي الهمة ماضي
للمزيمه . وقد اشتهر بجرعه وصديق وطنيته . وبلغ به الرشد الى انه عقد المزيمه سنة ١٨٥٨
على انشاء رهبانية من علماء الدين وحسب املاكه فيها . فعالت جولات سنة ١٨٥٩ و ١٨٦٠
دون امنته هذه . وقد صرف في أوروبا زهاء عشرين سنة كرمها مثال التقى والمزهد والمناف
حتى اعجب الاوربيون بصنائه المتأخرة وبصنائه الرائعة

(١) لما زار البطريرك يونس مسدد عاصمة السلطنة كان في رحلة ما قدمه السلطان عبد العزيز
لاكرامه اع عين فرقهو باشا مهتدراً له . وراى البطريرك من صفات مهتداده هذا ما يؤهله
للعلم فالتمس من السلطان تعيينه حاكماً فياان وأجيب الى طلبه . وكان فرقهو يذكر الى منتهى
ايامه هذا الفضل للبطريرك ويحسن قدره كثيراً . وهذا ما زادته تدن واحتراماً لرجال الدين .
فأعزوا في عهده من التمدد ما لم يحرزوه على عهد غيره من المتصرفين الذين حكموا لبنان


﴿ولاية دسّم باشا﴾ ثم جله دسّم باشا اللبناني (١٨٧٣ — ١٨٨٢) .
فاجرى العدل بين الناس وضرب على أيدي المقلّين . غير أنه ضحى بمصلحة لبنان
خدمة للدولة . ذلك أنه لما نشبت الحرب بينها وبين روسيا (١٨٧٧ — ١٨٧٨)
اقصّد في مرتبات الموظفين ووضع رسوماً إضافية ليستفي بذلك عن المال الذي
كانت تتقاضاه حكومة الجبل من صندوق التافة سداً لمجزر الميزانية . فعارضه رجال
الدين وزعماء الشعب اللبناني وعصفت ربح الفتن في أنحاء شتى من لبنان ولا سيما في
الجنوب . فابرى لاضطهاد الأكايروس ورماعهم بالشاة . وكسب الى الاستانة
يعزو اليهم تحريض الشعب على الثورة . وخص بالذكر منهم المطران بطرس
البستاني . قاوم الفصل الفرنسي انه في مقدمة المخرجين وأنه يعمل على أحياء
مساعي فرنسا في لبنان . وأفضى تأمرها عليه الى حمل الباب العالي على قتله الى
القدس بموافقة الدولة الفرنسية (٣١ يوليو ١٨٧٨) . فعظم الامر على البطريرك
والايعيان وازدادت سورة الاضطرب شدة حتى كادت تقضي اى فتنة عظيمة لولا
ارجاع الدولتين له الى لبنان على مدرعة فرنسية مكرماً محترماً . واستمر دسّم باشا
على معاداة الأكايروس الى نهاية حكمه . فلم يكن يستر لهم هفوة ولا سيما للرهبان
حيث شمر عليهم حرباً عواناً . وهم مدء نوادر وحكايت لا يسمع انقام بذكرها .
وكان على عدله واستقامته غيداً صعب الراس . فكان عهده في لبنان حافلاً بالفتن
والاقتلافل . وبعد انتهاء مدته عينته الدولة سفيراً لها في لندن مكافأة له على خرقه نظام
لبنان في سبيل مصلحتها

﴿ولاية واصه باشا﴾ وخلفه واصه باشا اللبناني (١٨٨٢ — ١٨٩١) .
وفي عهده شاعت الرسوة شيوعاً عظيماً . فاختلت الاحكام . وتطرق الفساد الى سائر
دوائر الحكومة . وسادت القوضى أنحاء لبنان . فسامت احوال اللبنانيين وهجروا
اوطانهم بالملئات والالوف الى حيث يأمنون شتّى العيش وشر الاستبداد . ويُعرف
حكمه بالحكم الكولياني نسبة الى صهره كوليان الذي كان ملازماً له ملازمة
الظل لصاحبه . واليه ينسب معظم الفساد الذي منبت به الحكومة اللبنانية في عهد
هذا الحاكم

﴿ولاية نعيم باشا﴾ ثم تولى نعيم باشا الحلبي (١٨٩٢ — ١٩٠٣) نسيب

فرثقو باشا . فجاء لبنان والرشوة تهرش قلب حكومته . جرى مع تيارها الجارف مع ما كان لديه من الوسائل لاستئصالها من جذورها . وهذا جذو سلفه في مضاعفة إيراد الحكومة من رسوم المحاكم . والضرر الذي ينشأ عادة عن مثل هذه الرسوم إنما هو ضرر نسبي . ولهذا لم يلقَ في معارضة اللبنانيين له من الصواب ما لاقاه سواء من الحكام لدى محاولتهم مضاعفة إيراد الحكومة من الضرائب . وفي أيامه نشبت فتنة في كمر وان بين المسيحيين والمثاليين . تصرف في طلبها تصرفاً مبدوحاً لولاه لهظم الخطب ومات العاقبة . وكان عالياً متأقفاً متصبفاً بالدهاء الخلف المشر خبيراً بأساليب السياسة . ولذلك عين بعد انقضاء مدة سفيراً للدولة في باريس ومات هناك

ولاية مظفر باشا  وخلفه مظفر باشا البولوني (١٩٠٤ - ١٩٠٧) . فاستوى على منحة الحكم وفي نفسه من حسن الاستعداد للسير بلبنان في سبيل الإصلاح ما جعل اللبنانيين يثنون النفس باطبيب الاماني واحسن الامال . فافسدت حاشيته الامر عليه وأوقفته بدساتنها ومظالمها في ارتباك شديد اخرج موقفه تجاه رؤساء الدين واعيان البلاد وقناصل الدول . وحلول الخروج من هذا المأزق اخرج ففشل وازداد قلقاً وارتباكاً . وجاء اتفاقه مع الجمعيات اللبنانية المناهضة للاكليروس والاعيان ضففاً على ابالة . فندأ بين الاثنين كثير من الفتن التي خربت محبا من نشوب حرب أهلية عنيفة لو لم تحتاجه منيته قبل انتهاء مدة ولايته . وكان هذا الحاكم عادلاً حراً الضير نزيهاً . لكنه كان كثير القلب سريع الحكم قليل التروي في الامور . فكان من أولئك الرجال الذين على نزاهتهم وعدلهم واستقامة ضمائرهم لا يصاحون للحكم في بلاد كلبنان لا بد لمن يتولى أمره أن يكون ادارياً بارعاً وسياسياً حذقاً حاذقاً أكثر منه نزيهاً عادلاً كما كان شأن هذا الحاكم

ولاية يوسف باشا فرثقو  ثم تولى يوسف باشا فرثقو الحلبي (١٩٠٨ - ١٩١٢) وهو ابن فرثقو باشا . فكان ضعيف الارادة غير انه كان نزيهاً حليماً . وفي مفتح حكمه أعلن الدستور العثماني فاعترف به مرغماً . وخيّل الى فئة قليلة من اللبنانيين أن الولايات ستسبق لبنان بفضل دستور الترك شوطاً بعيداً في مضار الإصلاح فبست الى تمثيله في مجلس الميمونان . ولكنها لم تكد تشهد فصلاً من المأساة الدموية

التي قام غلام الترك بتجديدها في عاصمة ملكهم حتى ثابت إلى رشدها وأذنت لمن لم يهر
انقارهم مراب هذا الدستور المانع للشغب من قادة الرأي العام اللبناني « طالع
كتاب لبنان والدستور اللبناني . وفي عهده نشأت عشرات من الجمعيات اللبنانية للمطالبة
بالاصلاح فأيدها وأظهر رغبة صادقة في تحقيق أمانها وأمانها ما التزم مع مصلحة البلاد
من اغراضها

﴿ ولاية فيوجيان باشا ﴾ وخلفه فيوجيان باشا الأرميني (١٩١٢ — ١٩١٤).
جاء إلى لبنان والجمعيات اللبنانية في الداخل وفي الخارج تسعى سعيًا حثيثاً في طلب
الاصلاح وفي مقدمتها جمعية الاتحاد اللبناني في مصر وفروعها في أوروبا وأمريكا . قال
إلى تمضيدها . وبذلك أحرز ثقة اللبنانيين فبدؤوا بالتفوا حوله ولا سيما بعد أن
زجت الدولة نفسها في الحرب الأوروبية المحاصرة بجانب الدولتين العبرمانيتين حيث
أبدى في كثير من المواقف المرحجة من الحزم والاخلاص في الدفاع عن نظام لبنان
ما أجمع كلمة اللبنانيين على حبه والفاء أمرهم بين يديه . ولكنه أوعر بذلك صدور
الاتحاديين حقدًا عليه فأكرموه على إهمال الحكم وعهدوا في ولاية لبنان إلى علي
منيف بك أحد رجالهم المعروفين ثم أتى اسميل حتى بك وهو حاكمه الحالي

﴿ الخلاصة ﴾ تلك خلاصة موجزة لتاريخ لبنان بعد تطوره الحديث يؤخذ
منها أن هذه البلاد لم تنفع بحكم المتصرفين الذين تعاقبوا على ولايتها على مقدار
استعداداتها وقابليتها للاصلاح . وما توفر لمشر اللبنانيين في هذه الحقبة من اليسر
والرخاء إنما كان بفضل النظام اللبناني الحديث حيث آمنوا معه شر الفتن والحروب
فانصرفوا إلى الاخذ بأسباب العمران . وكان لهم من ذكهم الفطري وقابليتهم لسرعة
الاقباس ومضاء عزائمهم واخلاصهم في العمل وصدق وطيبهم ما مكن المدارس
الاجتية التي أنشأها الرسائل الدينية في ربوع لبنان وسورية من تلقينهم تعاليم
الأوربيين وبت مدنياتهم في بلادهم بسرعة مذهبة مهدت لهم سبل النهوض بها إلى
مستوى البلدان الراقية من الوجهين الأدبية والمادية . وكان قنباجرة التي طغى ثيارها
في الربع الأخير من القرن الماضي نجيب وفير في هذا النهوض السريع حيث أوسع لهم
المجال لاظهار مواهبهم الفطرية والذكائية في ما قاموا به في خارج بلادهم من الاعمال
الخطيرة التي في كل فرع من فروعها المختلفة ما يكفي للدلالة على أن لهم من القدرة

الذاتية ما نوا قرن بصدق العمل وانتظامه وبشيء من القوة الخارجية أدبية كانت أو مادية لينفوا به الأدهم النهاية الفصوى من النجاح الذي يفتدونه لها ولجعلوا حالتها السياسية في مستوى حالتها الأدبية التي أحرزت بها من عظم الشأن ما يفيها على ما أكثر أصقاع الشرق رفياً وحضارة

سوريته بعد نظام لبنان الحديث

أما سورية فقسمت بعد فتنة السنين الى ثلاث ولايات : ولاية بيروت . وولاية سورية وقاعدتها دمشق . وولاية حلب . وجعلت رتب ولايتها دون رتبة حاكم لبنان ايذاناً برفع سلطتهم عنه . وحل محلهم في السيطرة على أعماله ومراقبة شؤون المليل قناصل الدول الأوروبية الموقعة لنظامه الحديث . فكانت وظائفهم عليه دون وطأة ارتكك الولاة . فلم ينفه على يد عشر عشر ما كان يناله من الضيم والاذى على يد رجال الدولة وعملائها

وقد كان دستور لبنان نسبة لسورية لانه عل أيدي الولاة عن ارتكاب المنكرات فيها . وحال دون ما كانوا يذرعون به من الفلاقل التي كانت تقع في لبنان لاجتياحه والاستطراد الى اجتياح أنحاء سورية وانزال الويلات باهلها ولا سيما ما كان داخلا منها في حكم أمراء الجبل . وكان لاقتدار المدارس الأوروبية بعد من هذا النظام شأن خطير في ايقاظ شعور السوريين فقبلوا عليها اقبالا عظيماً . وكانت المدارس الوطنية الى بدء تلك النهضة ابتدائية قاصرة على جهة دون أخرى . فآخذ الاهلون يتبارون في الاكتثار منها وجروا فيها على لوائح المدارس الاجنبية فازداد الطلبة اقبالا على اقتباس الآداب الغربية ونشأ الجيل الجديد راقياً متوراً ميالا الى انتزاع خطه الغربيين في ترقية البلاد واصلاح شأنها . وبدأت هذه النهضة الأدبية على أهمها في بيروت حتى باقت كبة القصاد من طلاب العلم ومستعجي المعارف كما كان شأنها في عهد الرومان حيث كانت تلقب بمدينة العلوم والشرائع . وبرزت من ذلك اللسان الارضي الذي يقف عنده بحر الروم في الشرق كثارة عظيمة تبعث أشعة العلم والعرفان الى ما وراء البحار ولا سيما الى أرض الفراغة فكان للقبس الذي جاء هذه الارض منها شأن عظيم في تأسيس نهضتها الحديثة . ولولا سيف عبد الحميد الذي كان مصلاً فوق رقاب المتوربين من رعايله في الربيع الاخير من القرن الماضي لسفل القرن

المثرون على سورية وهي سيدة الممالك الشرقية

ولقد حسب رجال جمعية الاتحاد والترقي النهضة السوريين حساباً كبيراً ولا سيما بعد ان انشق عنهم حزب الائتلافين وجاهر مندوبوه في المؤتمر العربي الذي عقد في باريس قبيل الحرب الادريسية باستمساكهم بحقوق العنصر العربي . فوضع الاتحاديون خطة منظمة للقضاء على الفكرة العربية في مهدها ولكنهم تسرعوا في اظهار نواياهم الخبيثة ومقاصدهم الملتوية . فافضت سياستهم الخرقاء الى اتحاد العرب والسوريين على اختلاف مذاهبهم الدينية وزعاعهم السياسية واجماع كلمتهم على مناهضتهم واجباط مساعيهم . وبدأ في الحرب اعظمى الناشبة اليوم تعصب هذه العنفة الضالة الطاغية للجنسية التركية بافظع اشكاله حيث اعلنت حكم الارهاب في الديار الشامية وحكمت في قضية السوريين السيف الذي حكمته في قضية الارمن ولكن على اسلوب جديد تآمن معه عاقبة بنينا . على انه لا يزال في العنصر العربي السوري من القوات البكائنة ما يكفي لتلقيق هؤلاء الطائفة السفاحين درساً مفيداً يذكرهم بخاتمة ملك بازيد وسلم الثالث ومصطفى الرابع وبربرهم على وميض سيف الثقة المصلت فوق رؤوسهم في حلك اندور المظلم الذي يجتازونه تلك اليد الازلية التي تحكمهم في مصر الامم تكتب لهم في لوح القدر ما كتبته على قصر بيلشاصر الملك « *مننا ثقل وفرزين* » قيل مصرعه واقراض ملك الكلدان وقيام مملكتي فارس ومادي على انقاضه (١)

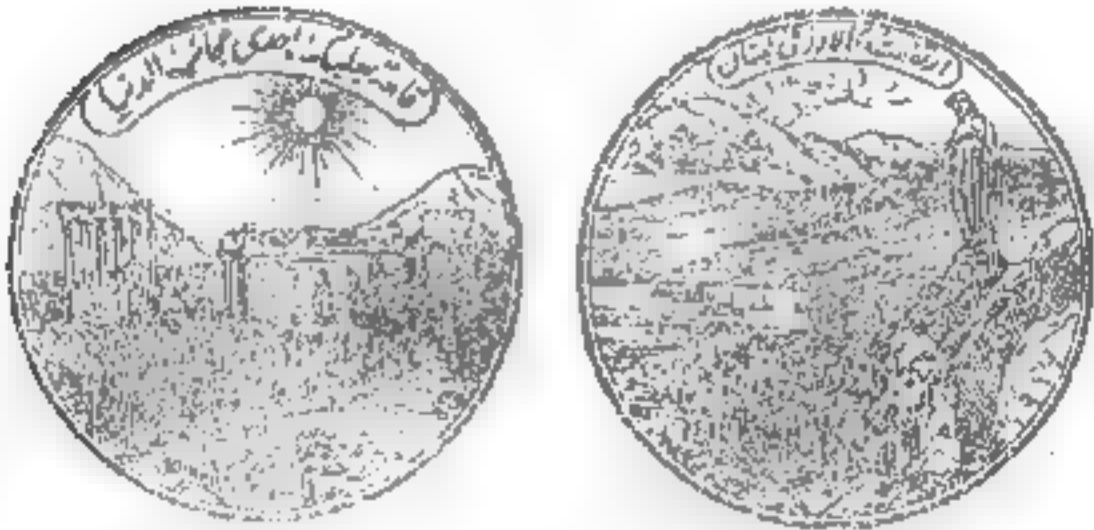
وما بطش الشريف حسين بن علي في الامس بجيش الطورانيين وقيام دولة بني هاشم على انقاض دولتهم في الحجاز وتمثيله معهم دور عمر بن الخطاب مع هرقل الملك يوم بطش هذا الخليفة بجيش الروم على يد بن الوليد وابن الجراح واقام دولة بني قريش على انقاض دولة بزنطية — ما ذلك الا مظهر من مظاهر الانقلاب العظيم الذي توقع حدوثه قريباً في الشرق الادنى . وقد جاء اينال الاسد البريطاني في ارض الكلدان مذكراً اعقاب الكلدانيين بدور مادي وفارس مع بيلشاصر الملك . وجاء دخوله عاصمة العباسيين مجدداً مجد العرب ومبدداً لذكرى الدور الفظيع الذي لعبه

(١) « *نبوة دانيال* ص ٥ » وتفسير الآية : « *مننا* : احصى الله ملكك وانها . *ثقل* : وزنت فوجدت ناقصاً . *فرزين* : قسمت مملكتك واعطيت لمادي وفارس » . وفي ليل ظهور هذه الآية قتل بيلشاصر ملك الكلدان واستولى داريوس لقادي على مملكته

هولاكو المتولي مع المستنعم الباسي (١٢٥٨) ومنتصاً لهذا الانقلاب الذي سيكون فيه القضاء المبرم على سلطة التتار في بلاد بني قحطان . ونحن اليوم نشهد السراع عن كذب ولف في الدبر التي تجلت لأصاغرنا فيه على طريق بيت المقدس يكفي للدلالة على أن جهاد أخفاء واستسلام العرب والسوريين إلى هشة سيفسراً عن تحرير تلك الأرض المقدسة من رجة الحكم التركي الذي أبهظ عاتق أربعة قرون كاملة ودموغها في عصر جديد إذا توافرت لها فيه أسباب العمر . كان أسعد عصر مر بها منذ ابتاق فجر التاريخ إلى الآن

« المسودي »

مصر يوليو سنة ١٩١٢



المدالية التذكارية السورية للحرب للعظمى الاوربية

سنة ١٩١٢

فهرس الكتاب

صفحة

٣ — ٧	تمهيد « ح — حكم المالكة والصلبيين في سورية »
سورية في القرن السادس عشر	
٧ — ١٠	الفتح العثماني « ح — السلطان سليم الاول »
١٠ — ١٣	ولاية الامراء الفتيين وبني عساف وسيفا « ح — نسبة بني عساف وبني سيفا وبني حاتم
١٤	سطوة بني عساف
١٥ — ١٧	تعاظم نفوذ بني سيفا ونضاؤل سطوة آل عساف « ح — اخبار المتقدمين »
١٦ — ١٨	نكبة بني من الاولى « ح — نسبة التوخيين والحوالنة »
١٨	انقراض بني عساف وانتقال ولاية كمر وان الى بني سيفا
١٩	الامير نضر الدين المعني الثاني
١٩	نكبة الحوالنة

سورية في القرن السابع عشر

٢٠ — ٢١	نكبة بني جبلاط « ح — نسبة بني جبلاط »
٢١ — ٢٢	سفر الامير نضر الدين الى اوربا
٢٢ — ٢٣	نكبة بني من الثانية
٢٣ — ٢٤	رجوع نضر الدين واسترجاع المعنيين لسيادتهم « حكم بني المشروقي »
٢٥ — ٢٧	نكبة آل سيفا الاولى
٢٧ — ٢٨	فهر نضر الدين لبني الحرقوش وطريه واقائه جيش دمشق
	« ح — نسبة الامراء الشهابيين »
٢٩ — ٣٠	نكبة بني سيفا الثانية وتقلص نفوذ الحوالنة
٣٠	اتساع ولاية نضر الدين وتعاظم امر الفتيين
٣٠ — ٣٢	نكبة بني من الثالثة الكبرى

صفحة

٣٣ — ٣٣	بنو علم الدين وبنو سيف
٣٣	نكبة النينة
٣٣	نكبة بني سيف الثالثة وعود الولاية الى آل علم الدين
٣٤	نكبة بني سيف الرابعة وظلم ولاء طرابلس
٣٥ — ٣٦	خاتمة حياة الأمير ملحم المنفي وأخبار بني البشعلاني
٣٦ — ٣٧	نكبة القيسية الكبرى
٣٧ — ٣٩	استفحال أمر الحمادية ونكبتهم الكبرى « ح — الحمادية وآل ثابت
٤٠ — ٤١	خاتمة حكم المغنيين وانقراض سلالهم
٤١	ولاية الأمراء الشهابيين « ح — نكبة بني البشعلاني »
٤١ — ٤٢	ولاية الأمير بشير الأول الشهابي

سورية في القرن الثامن عشر

٤٢ — ٤٣	ولاية الأمير حيدر الشهابي
٤٣	نكبة النجدة الكبرى وانقضاء ولاية آل علم الدين
٤٤	ولاية آل العظم وحكم الأمير ملحم حيدر الشهابي
٤٥ — ٤٦	تنازع الشهابيين الولاية
٤٦	الزبكية والجنبلطية وولاية الأمير يوسف
٤٦ — ٤٧	الأمير علي المصري والشيخ ضاهر العمر
٤٧	مصر الأمير علي المصري
٤٧ — ٤٨	ظهور الجزائر
٤٨	مصر أبي الذهب ونكبة آل العمر
٤٨	مناظم شأن الأمير يوسف
٤٩	ولاية الجزائر
٤٩ — ٥٠	مصر آل العمر
٥٠	الأمير يوسف ومن أحوه
٥٠ — ٥١	مناظم الجزائر ودسائسه

٥١ — ٥٣	ولاية الأمير بشير الشهابي الكبير « ح — حملة نابوليون على مصر وسورية »
٥٣ — ٥٤	خاتمة حياة الأمير يوسف « ح — منشأ محمد علي باشا »
٥٤ — ٥٥	الأمير بشير وإبنه الأمير يوسف
٥٥ — ٥٦	الأمير بشير ونابوليون

سورية في القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين

٥٧ — ٥٩	انقضاء ولاية الجزائر ومصر إبنه الأمير يوسف وبني باز
٥٩ — ٦٠	عائشة انطلياس
٦٠	عائشة لحفد
٦٠	درويش باشا والأمير بشير
٦١	الأمير بشير ومحمد علي باشا
٦١	حركة المختارة
٦١ — ٦٢	غزوة اليونان لبيروت وثورة النابلسيين
٦٢ — ٦٣	حملة إبراهيم باشا على سورية
٦٣	المسألة المصرية
٦٣ — ٦٤	صدى المسألة المصرية في لبنان وسورية
٦٤	جلاء إبراهيم باشا عن سورية
٦٤ — ٦٥	مصر الأمير بشير
٦٦	الحرب الاهلية الاولى بين المسيحيين والدروز
٦٧ — ٦٨	القائمقاميتان اللبنانيان وحكم الامراء المسلمين « انظر ص ١٧ و ١٣ »
٦٧	الحرب الاهلية الثانية بين المسيحيين والدروز
٦٩	نكبة الحوازنة وانقضاء حكم الانطاكات
٦٩ — ٧١	الحرب الاهلية الثالثة بين النصاري والدروز
	لبنان بعد نظامه الحديث
٧٣ — ٧٦	بين داود باشا ويوسف كرم
٧٦	ولاية فرحقو باشا

صفحة	
٧٧	ولاية دسم باشا
٧٧	ولاية واحد باشا
٧٧ — ٧٨	ولاية نعوم باشا
٧٨	ولاية مظفر باشا
٧٨ — ٧٩	ولاية يوسف باشا فرقو
٧٩	ولاية قيوحيان باشا
٧٩ — ٨٠	الخلاصة
٨٠ — ٨٢	سورية بعد نظام لبنان الحديث



(اصلاح خطأ)

صفحة	سطر	خطأ	صواب
٣	٢٠	وزادت	وازدادت
٨	٢٦	في الجراكسة	الجراكسة في
١١	١١	سليمان الاول	سليمان الاول (١٥٢٠ — ١٥٦٦)
١٢	٢١	وتكار	وتكار
١٢	٣٢	بونس	بونس
١٣	١٩	١٥٦٤	١٥٦٦
١٦	٢٧	منصب	مناصب
١٧	٢٤	الرمطوني	الرمطوني
١٨	٩	حكموا	حكموا
١٨	١٨	١٥٩٤	١٥٩٥
٢٣	٢	وشيخ	والشيخ
٢٦	٧	ونزير فلم	ونزير - وكان بنو سينا اغتصبوها منهم فلم
٣١	١٨	استأنف	استأنف
٣١	٢٠	بن	عن
٣١	٢١	عنه عطش	عليه بطش
٢١	٢٣	مان	من
٣٤	٢٨	اغتيال السلطان	السلطان اغتيال
٣٥	١٢	ونحلى له من	ونحلى له عن
٤٨	١٥	نحوضاً عن	نحوضاً من
٥٦	٥	المسفين	المسفين
٦٣	٢٥	الامواء	الامراء
٦٥	٩	تأييداً له للمحافظة	تأييداً له ومحافظة
٦٥	٢٦	قاتصر	قاتصر
٦٥	٢٦	الاساطيل	الاساطيل
٦٩	٥	شر شريك	شر شريك